تفريغ درس ٢٢

الشوق إلى الحج والعمرة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ،بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى واله المستكملين الشرف،ثم أما بعد: فأسال الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً ينفعنا، اللهم اجعل مأأقول وما تسمعون حجة لنا لاعلينا، اللهم اجعل عملنا كله صالحاً ولوجهك خالصاً ولاتجعل فيه لاحد غيرك شيئا،{ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا }،

هذا هو الدرس الثاني والعشرون في مدارسة ربع العبادات من كتاب "مختصر منهاج القاصدين"

وموعدنا في هذه المحاضرة مع أبي العبادات، حينما نذكر هذا فينبغي أن يذهب الخاطر سريعاً سريعاً إلى بيت الله الحرام وأن تهفو النفس الآن إلى النظر إلى الكعبة المشرفة وأن يرتج بداخل الانسان أحساس سماع التلبية وهي تخرج من القلب قبل اللسان، وحينها نتذكر تلك المرأة الصالحة التي ذهب شوقها قبل جسدها إلى بيت ربها وهى حال الترحال إلى بيت الله الحرام، تصرخ في الناس ... أين بيت ربي؟؟؟

حتى إذا ما وقعت عينها على الكعبة ذهبت مسرعة ووضعت خدها على الكعبة .... فما رفعوها الا ميتة.

أين بيت ربي؟؟؟

في ظل الفتن التي يعيشها الأنسان يحتاج الأنسان أن يعلق القلب هناك هناك....في الحرم، حيث أن اللقطة لايجوز أن تلتقط في هذا المكان الشريف، فمن المعاني النفيسة والجليلة ما يذكره بعض علمائنا حين يقولون: اللقطة لا تلتقط إذاً أرمي بقلبك هناك فإنه لايجوز لأحد أن يلتقطه فدعه هناك وعش بعد ذلك بين الناس بجسدك واجعل قلبك معلقاً بأستار الكعبة.

نعم ...والله إننا نحتاج أن نذكر ونتذاكر ونتشوق إلى بيت الله الحرام، نحتاج أن نعيش في رياض الحج والعمرة وأسرار ذلك.....وهذا هو موضوع درسنا " الحج وأسراره وفضائله وأدابه " ونحو ذلك.

هذه المعاني لاينبغي فقط أن تتذاكر في المواسم، وإنما وهذا عن تجربة ... والله الذي لا اله غيره...أعرف ذلك من حال بعض إخواننا وقد جربنا ذلك فانتفعنا به إنتفاعاً عظيماً .... أن يصير الأنسان من الموسم الى الموسم يدعوا الله عز وجل ويلح عليه وإن أفتقد الأسباب أن يُبلغ العمرة أو يُبلغ الحج وستجدون الله أكرم الأكرمين، يرزق من حيث لاتحتسبون وتجدون أنفسكم وقد حللتم بأجسادكم وقلوبكم في الحرمين. لذلك أوصيكم وأوصي نفسي بكثرة الدعاء والألحاح على الله عز وجل أن يمن علينا بزيارة بيته الحرام وأن يتابع لنا بين الحج والعمرة والأ يحرمنا من ذلك.

دائماً نوصي أخواننا حال العمرة أو حال الحج لاسيما في طواف الوداع وأنا أبدا بكم من النهاية وليس من البداية وذلك لان النهاية بداية....الأنسان وهو يطوف طواف الوداع دايماً أبداً يقول لربه : يارب لاتطردني ... يارب لاتطردني ... يارب أنا لاأترك هذا

المكان لأني أهفو إلى مكان آخر، ولا لأني أشتقت إلى الأهل والأولاد والعمل والحياة و.......بل ياربي فأنا لاأريد الا بيتك ولا أريد أن يختم لي الا هاهنا....ولكن هذا أمرك وأنا ممتثل لذلك. فأنت حال توديعك للمكان تترك القلب هناك.

أحبتي .... الحج والعمرة لهما ثواب عظيم، فدعونا نثير الأشواق فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أديموا الحجَّ و العُمرةَ ، فإنَّهما ينفِيانِ الفَقرَ و الذُّنوبَ كما يَنفي الكيرُ خَبثَ الحديدِ" [صححه الألباني٢٥٣] وهذا معنى عالي جداً، نقول دائماً عندنا ذنوب لانستطيع التخلص منها ونرى في أنفسنا خبث وميل للفجور....نعم ألم يقل الله عز وجل: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[الشمس٨:٧] فلكل واحد منا خبث، وفي كل واحد منا ميل للفجور ونريد أن نتطهر ....فها هنا مكان التطهير.فالفقر هنا فقر النفوس والغنى غنى النفس، حينما يكون الأنسان قد قنع بما أتاه الله، حينما لايكون الأنسان كحال بلعام قال تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ }[الاعراف١٧٦] لكن حاله بهذا الرقي....هذا السمو وهو غني النفس وينفي الذنوب فها هو يطهر من أثر الذنوب التي جعلت الران على القلوب أليس إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يكون الران قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين١٤]قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهمَّ بَاعِدْ بيني وبينَ خطايَايَ ، كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ ، اللهمَّ نَقِّنِي من الخطايَا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ ، اللهمَّ اغْسِلْ خطايَايَ بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ . " [صححه البخاري٧٤٤]يارب اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعفُ عنا، فهذا أثر الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، وقالوا خص الحديث بالذكر لانه من أشد المعادن صلابة وأكثرها خبثا، وفي هذا إشارة إلى أن الأنسان وإن كان فقره شديداً وإن كان مذنباً ذنوب عظيمة فالحج والعمرة يزيل ذلك كله لكن شريطة أن يتحقق الأنسان بأسرار الحج والعمرة.

الأمر الثاني: الحج والعمرة يجعلان العبد في رعاية الله وحفظه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من خرج حاجًّا فمات ؛ كُتِبَ له أجرُ الحاجِّ إلى يومِ القيامةِ ، ومن خرج معتمِرًا فمات ؛ كتب له أجرُ المعتمرِ إلى يومِ القيامةِ ، ومن خرج غازيًا فمات ؛ كُتِبَ له أجرُ الغازي إلى يومِ القيامةِ ."[صحيح لغيره ١١١٤] فما أعظم أن يكون الأنسان في ضمان وحفظ وأمن ربه المؤمن الذي هو أمان لكل مؤمن. ومن فضائل العمرة خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما منَ الذنوبِ و الخطايا، و الحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلا الجنةُ"[صححه السيوطي٥٧٣٤]وهذا حث خفي وتتبيع ندي وتلميح شجي لكي نكرر العمرة ونكثر منها، فان التكرير مشروط بفعلها ثانية، فلذلك ينبغي أن يداوم الأنسان على ذلك كلما أستطاع ذلك.فهي كفارة لما بينهما.

الأمر الرابع: أن العمرة إذا كانت في رمضان فإنها تعدل حجة مع النبي صلى الله عليه وسلم ... اللهم لاتحرمنا العمرة في رمضان، فقد جاء في تصحيح الترغيب جاءت أمُّ سُليمٍ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم فقالت: حجَّ أبو طلحةَ وابنُه وترَكاني فقال: "يا أمَّ سُليمٍ عُمرةٌ في رمضانَ تعدِلُ حَجَّةً معي" [صححه المنذري١٧٧/٢] وكأنه يؤنسها ويربط على كتفها ويزيل حزنها .... هذا من فضل الله ونعمته على عباده أن أنزل العمرة منزلة الحج في إنضمام رمضان إليها، وبهذا يسن الأكثار من العمرة في رمضان.

الأمر الخامس: " أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لأمنا عائشة في عُمرتِها إنَّ لك من الأجرِ على قدرِ نَصَبِك ونفقتِك "[صححه المنذري١٧٤/٢]وقال تعالى: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ }[الشرح٧:٨]وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه البشارة يمر بيده الحنونة على كل معتمر. فيمسح عنه تعب وعرق الحج ويهون عليه كل مال ١٢،٣٠ مهما كثر لينفقه في سبيل الله ويبشره بان ما عند الله خير وأبقي وأزكى وأرقى وأسمى وأدوم وأعلى فإذا ما نظرنا إلى الحج خاصة فحيهلا وبخ بخ أيها الحاج فإن الحج يهدم ماكان قبله. قال عمرو بن العاص فلمَّا جعل اللهُ الإسلامَ في قلبي أتيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ ابسُطْ يمينَك لأبايعَك فبسط يدَه فقبضْتُ يدي فقال:" ما لك يا عمرُو قال أردْتُ أن أشترِطَ قال تشترِطُ ماذا قال أن يُغفرَ لي قال أما علمتَ يا عمرُو أنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قَبلَه وأنَّ الهِجرةَ تهدِمُ ما كان قبلَها وأنَّ الحجَّ يهدِمُ ما كان قبلَه" [صححه المنذري٢/١٦٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: " مَن حجَّ للهِ، فلم يَرفُث ولم يَفسُقْ، رجَع كيوم ولدَته أمُّه "[صححه البخاري١٥٢١]ما أجمل هذا الحال....ماأجمل هذا الصفاء والنقاء.....ماأجمل أن تولد أيها الحاج ولادة جديدة .....قالوا الحج حرفان "ح" من حلم الرب، "ج" من جرم العبد، فيعاملك الله بحلمه وإن كنت تعامله بجرمك. فهكذا الحاج يعيش هذه المعاني العظيمة وينبغي عليه أن يحتسب ذلك فإن لك ما أحتسبت إيمانا وأحتساباً .

فمن فضائل الحج... أنه أفضل أعمال البر، " سُئِلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : إيمانٌ باللهِ ورسولِه . قِيلَ : ثم ماذا ؟ قال جهادٌ في سبيلِ اللهِ . قِيلَ : ثم ماذا ؟ قال : حجٌّ مَبرورٌ . " [صحيح البخاري١٥١٩]وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :" الحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلا الجنَّةُ "[صححه البخاري١٧٧٣].

معنى بر الحج كما قال أهل العلم: أي لايخالطه شئ من الأثم.

وقيل أن يرجع خير مما كان عليه قبل الحج.

وقيل أن يكون زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

وقيل: أي أن يكون لارياء فيه ولاسمعة وقد لبى النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لبيك اللهم بحجة لارياء فيها ولاسمعة.

ولا يخالطه شئ من الفسوق أو الرفث.

وقيل: إنه إطعام الطعام وطيب الكلام، وإفشاء السلام. فلا شك أن من أعظم الوان البر فى الحج أن يحسن الأنسان إلى إخوانه، وأن يكون في خدمتهم، وأن يكون دائماً أبداً سبب في تأليف قلوب الناس فإن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكن رضى بالتحريش بين الناس، كان عامر بن عبد قيس إذا أراد الغزو وقف يتوسم الرفاق فإذا رأى الرفاق قال: ياهولاء إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث أشياء.

فيقولون : ماهي؟

فيقول: أكون لكم خادما لاينازعني أحد في الخدمة، وأكون مؤذنا لاينازعني أحد في الآذان، وأنفق عليكم بقدر طاقتي.

فإذا قالوانعم...إنضم إليهم، وإن نازعه أحد منهم شي من ذلك بحث عن غيرهم.

كانوا يشترطون الخدمة، يشترطون النفقة، يشترطون الآذان، وكان عبد الله بن المبارك الأمام المبارك المتوفى سنة ١٨١ كان إذا أراد الحج ...جمع أصحابه وقال: من يريد منكم الحج؟

فيأخذ منهم نفقاتهم ... فيضعها في صندوق، ويغلقه ثم يحمله ثم ينفق عليهم أوسع النفقة ويطعمهم أطيب الطعام، ويشترى لهم من مكة مايريدون من الهدايا، ثم يرجع بهم إلى بلده .... فإذا وصلوا صنع لهم طعاما ثم جمعهم ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فيرد إلى كل واحد نفقته، فكان يشترط أن ينفق على أهل الحج . وهذا من بر الحج.

والحجاج والعمار هم وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم. ومن عظيم الكرم ومنتهى الجود أن هذا الوفد يكرم قبل أن يصل وتغدق عليه الهدايا وهو في الطريق .... وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : " ما ترفعُ إبلُ الحاجِّ رجلًا ، ولا تضعُ يدًا ، إلَّا كتَبَ اللهُ تعالى لَهُ بِهَا حسنةً ، أَوْ مَحَا عنْهُ سيئَةً ، أوْ رفَعَهُ بها درجةً"[حسنه الألباني٥٥٩٦] كل خطوة من بيته من حيث بدأ في الشروع في الحج ...كل خطوة.

وقال علي بن ...... ١٩,٤٠حججت ستين حجة، فجلست في الحجر أفكر في حالي وكثرت ترددي على ذلك المكان ولا أدري هل قبل مني حجي؟ أم رد؟

ثم نمت فرأيت في منامي قائلا يقول لي: هل تدعوا أنت إلى بيتك الا من تحب ؟

قال: فأستيقظت وقد سري عني.

اللهم لاتحرمنا...اللهم لاتحرمنا....اللهم لاتحرمنا.

والحج جهاد وأعظم جهاد، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " نِعْمَ الجهادُ الحَجَّ"[صححه الألباني٦٧٦٩] وقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله حج مبرور وجعله جهاد النساء لأنها لاتقوى على القتال فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عندماسأله نساؤه عن الجهادِ، فقال : (نعم الجهادُ الحجُّ) "[صحح البخاري٢٨٧٦]بل جعل ذلك جهاد لكل ضعيف فقال صلى الله عليه وسلم: " الحَجُّ جِهادُ كلِّ ضعيفٍ"[صححه الألباني٣١٧١].

وأنا أريد أن تروعوني الأسماع الآن لتسمعوا هذا الأجر العظيم وهذا الفضل العميم وهذا المدهش في فضل الحج .... قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أما خروجُك من بيتِك تؤُمُّ البيتَ الحرامَ ؛ فإنَّ لك بكلِّ وطأَةٍ تطؤها راحلتُك يكتبُ اللهُ لك بها حسنةً ، ويمحو عنك سيئةً . وأما وقوفُك بعرفةَ ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ ، فيقولُ : هؤلاءِ عبادي جاؤوني شُعثًا غُبرًا من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني ، فكيف لو رأوني ؟ فلو كان عليك مثلُ رملِ عالجٍ أو مثلُ أيامِ الدنيا أو مثلُ قطرِ السماءِ ذنوبًا غسلها اللهُ عنك . وأما رميُك الجمارَ فإنه مَدخورٌ لك . و أما حلقُك رأسَك فإنَّ لك بكلِّ شعرةٍ تسقطُ حسنةً ، فإذا طُفتَ بالبيت خرجتَ من ذنوبِك كيومِ ولدتْك أمُّك"[حسنه الألباني١٣٦٠]أي فضل بعد ذلك؟ تغفر الذنوب مهما كانت ...... ولو بالترليونات ويدخر الله عز وجل للعبد من الأجر ما لايحصيه ولايحسبه، كل خطوة تخطوها من بيتك إلى البيت الحرام حسنة ومحي سيئة ولك بكل شعرة تسقط منك حال الحلاقة أيها الحاج لك بها حسنة وتخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك حتى يأتيك الملك وأنت تسير حال طواف الأفاضة وقد ربت على كتفك يقول أستأنف العمل وأبدأ من جديد ... قد ولدت ولادة جديدة ...ألم أقل لكم إنه الحج ... أعظم عبودية لله، كما يقول الأمام الكساني: الحج فيه إظهار العبودية وإظهار التذلل للمعبود....الكل يلبس الأكفان والكل يأتي وكأنه في يوم الحشر ... فالحج في حال إحرامه يظهر ذلك، فيكون أشعث ويكون أغبر، ويلبس ما سيكفن فيه، ويظهر بصورة العبد الفقير الذي يتذلل إلى مولاه فيتعرض لرحمات ربه تبارك وتعالى، والحج فيه شكر للنعمة..... فالحج فيه عبادة زمنية وعبادة مالية وعبادة قلبية .

ولذلك كان الأمام أبو حنيفة يفاضل بين العبادات فيقول: بلاشك أن الحج أعظم العبادات، وقد برر هذا جابر بن زيد الازدي أبو الشعساء بقوله: رأيت الصلاة تهلك البدن دون المال، ورأيت الزكاة تهلك المال دون البدن، والحج يهلكهما معاً، فلذلك فهو أفضل الأعمال.

هذا هو ما أشار إليه ابن الجوزي رحمه الله حين قال: الصلاة والصيام يجمعان سببين من هذه الثلاثة عقد القلب وفعل البدن والزكاة تجمع سببين: عقد القلب وإخراج المال (النية والعمل البدني)والزكاة النية والمال والحج يجمع الأركان الثلاثة للعبودية عقد القلب وفعل البدن وإخراج المال...لذا الحج بحق أبو العبادات، قال المصنف: ينبغي لمن أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وأعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال مايكفيه لذهابه ورجوعه من غير تقتير على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد، والرفق بالفقراء ويستصحب ما يصلحه كالسواك والمشط والمرآة والمكحلة ويتصدق بشئ قبل خروجه وإذا آجر فليظهر للجمال كل مايريد أن يحمله من قليل وكثير، وقد قال رجل لابن المبارك: احمل لي هذه الرقعة إلى فلان.

فقال: حتى أستاذن الجمال.

إذاً في هذه الرحلة المباركة عدة مراحل.....

المرحلة الأولى: ماقبل الرحلة ... وهنا ينبغي أن يبدأ الأنسان بترويض نفسه وتهيئة قلبه، ينبغي أن ندرك ما سنقوم به ...ولماذا نذهب ؟ وما هي الأهداف التي نريدها من هذا الحج؟ أو هذه العمرة؟

يجب أن ندرك شرف هذا البيت الذي سنذهب لزيارته ويكفينا هنا ماشرفه الله به حين نسبه إليه وقال: {أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[البقرة١٢٥] أستشعروا بركة هذا البيت فحجارته وضعتها يد الخليل إبراهيم ويد إسماعيل عند بنائه ثم يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند وضعه الحجر الأسود، وأستشعروا من بركات هذا البيت أختيار الله له .... فإذا كانت المساجد كلها بيوت الله وكلها نتقرب إلى الله بصلاة الجماعة فيها والأجتماع على الذكر والأعتكاف لكن هذا يكون باختيار العباد – نقول سنبني مسجد هنا – لكن هذا البيت خاصة قد أختاره الله ليكون بيته الحرام .... بيته الأعظم.

ومن بركة هذا البيت أن الصلاة فيه بمائة الف صلاة وكذلك شأن الحسنات،فهذا بن عباس يرى أنه ليس الصلاة فقط التي تضاعف في مكة بمائة الف وإنما الحسنة كذلك، وكان يرى ذلك من بركة الحرم.تخيلوا التسبيحة بمائة الف تسبيحة وقراءة القرآن كذلك، فالحرف بعشرة حسنات ثم مائة الف ضعف صارت الف الف أي مليون حسنة في الحرف الواحد في الحرم. أي أجر أعظم ؟؟

هذه من بركات شرف المكان.

قلنا من قبل أن الأعمال تتضاعف بشرف الزمان وشرف المكان وشرف الإنسان .... ومن بركة بيت الله الحرام أنك تمتنع فيه عن الآثام وتلتزم فيه بالأنابة لو رأيت شأن العباد فيه وشأن ما يتنزل الله به عليهم من الرحمات وذقت من ذلك شيئا، لعرفت لما تهفو النفوس إلى هذا المكان الجل الأعظم . ومن بركته أتساع القلوب فيه، وأتساع المكان، ومن بركته أن الأفئدة تهفو اليه فلقد دعا إبراهيم بالأفئدة ولم يقل أجساد قال تعالى: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}[إبراهيم٣٧]

فالرحلة ليست رحلة جسد إنها والله رحلة قلب مشتاق، فعلينا أن نفهم هذا المعنى ونستشعر وطالما ذكرنا إخواننا في هذه الرحلات بهذا المعني– ياجماعة المسلمون الآن كم يبلغ عددهم في العالم؟ مليار وستمائة مليون تقريباً...كم سيعتمر عمرة رمضان؟كم سيحج هذا العام؟كم شخص الآن في الحرم؟قد يكون مليون يزيد أو ينقص... قد تصل لخمسة مليون شخص مثلاً– لقد أصطفاك الله أنت من دون باقي المسلمين لتكون في هذا المكان فهل تشعر بهذا الأصطفاء والتميز؟ هل تدركوا معنى قوله تعالي: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ }[الحج٧٨]ما معنى: إن الله أصطفى؟

هل تدركون أن الله قد أنعم علينا بهذه النعمة ؟ وهناك من لايستطيعون ذلك ويبلغون هذا بنياتهم. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لقد ترَكتُم بالمدينةِ أقوامًا ما سِرتُم مسيرًا ولا أنفَقتُم من نفقةٍ ولا قطعتُم من وادٍ إلَّا وَهم معَكم فيه قالوا يا رسولَ اللَّه وَكيفَ يَكونونَ معنا وَهم بالمدينة فقال حبَسَهمُ العذرُ "[صححه الألباني٢٥٠٨]وهذا ما نتحدث فيه.

أحذر أن يكون كل تفكيرك المال والنفقة ... والله الذي لاإله غيره مرت بنا قصص عجيبة في أحوال المعتمرين والحجاج .... وجد أحد مشايخنا في فندق من الفنادق الفاخرة جداً التي لايدخلها الا علية القوم رجلاً فقير يعمل ساعي وكان الشيخ يعرفه فسأله كيف جاء هنا؟

فرد الرجل بأنه يأخذ غرفة في هذا الفندق الفخم في مكة وفي المدينة أيضاً.

تعجب الشيخ من الرد وسأله عن تفاصيل هذا الأمر....

فقال الرجل: دخلت على مدير الشركة التي أعمل بها كالعادة أقدم له فنجان القهوة أو الشاي في الصباح وكان سكرتيره يعرض عليه ورق العمرة، وكان قد نسيها وأرتبط بمواعيد وأعمال ....ففكر أن يقوم أحد غيره بالعمرة لإنشغاله .... وظل يفكر ويبحث عن شخص فتذكرني ورشحني للعمرة التي كانت بمبلغ ضخم جداً. وسبحان الله العمرة الفخمة الغالية كانت من نصيبه من حيث لايحتسب .

ربما كان هذا الساعي لايتخيل هذا الثراء وهذه الرفاهية وهذه الحياة ولو ليوم في الدنيا يهذا الشكل.

هذا هو الأصطفاء ... وهذا قوله تعالى: { وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[البقرة٢١٢]وكذلك: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[الطلاق٣:٢]نريد أن نشعر بهذه المعاني وهذه الأسرار ونفهم هذا الفهم، لما يريد الله لامانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وقصة أخرى عكس هذا تماماً .... أحد إخواننا وكنا في أواخر شعبان وكان حريص على عمرة رمضان دائماً والأعتكاف في الحرم وكان مجتهد ولكنه تكاسل في سنة من السنين فسألته عن أخبار التأشيرة في آخر شعبان فرد عليّ بإنه لم يقدم بعد، وتعجبت من رده وظل يبرر بأنه يقدم على شقة وو.... وسأحاول أن أقدم على العمرة.

وسبحان الملك ظل يحسب نفقته ومصاريفه ودخله وظروفه ...... وقدم على العمرة وكانت التأشيرات صعبة جداً في هذا العام ويشاء المولى أن مديره يبشره بعلاوة خاصة هذا العام تقريبا بثمن العمرة والتي لم يكن يتخيلها .... فكان يبكي بكاء الدم ليحصل على التأشيرة لأنه حسبها مع الله وهذه الأمور لاتحسب هكذا مع الله، إنما أتركوا الأمر كله لله. وأنتم على يقين أنهما ينفيان الفقر والذنوب. وتصبح حريص وتجتهد لأن الأنسان لايركن على الأسباب ....فلان أو مال أو الوضع الأقتصادي ..... فهذا لا يدل على الصدق في الشوق ..... لذلك يجب أن نفهم هذه المعاني قبل الرحلة.

نبدأ بالتوبة فلايحق لنا بحال أن نبني صرح الحج على شفا جرف هار ... كيف نحج وفي القلب ميل للمعاصي؟ فهذه مصيبة.

بعض الناس في الحج نسأله هل ستقلع عن التدخين بعد الحج؟

تجده يتردد ويقول: نحج أولاً ثم ييسر لنا الله...

نسأل آخر: هل ستتوب من المواقع الأباحية ..... وما شابه؟

تجده يتردد ويقول: سأحاول إن شاء الله....

نسأل آخر: هل ستتوب من الربا وتسحب أموالك من البنوك الربوية؟

تجده يتردد ويقول: سأفكر إن شاء الله....

أتسأل هنا لماذا تحج إذاً؟؟؟؟

هل تحج وتنوي العودة إلى المعصية؟

كيف تفد إلى بيت الله وتدعوه أن يغفر لك وقد عقدت العزم على أن تحاربه بعد عودتك؟

من أراد أن يدق باب الحرم بيده، عليه أن يطرق باب التوبة بقلبه قبل أن تخطو قدم له في طريق الحج.فأسمى غاية للمؤمن هي التوبة، إن أعظم ما يُعرف العبد قدر التوبة وفضلها عند الله وأنها غاية كمال المؤمن أن ينظر في قول الله تبارك وتعالى: { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ }[التوبة١١٧] إن يتأمل إنها وظيفة العمرفي أول أمرك وفي آخر أمرك {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[النور٣١]أن يدرك الأنسان أنه ظالم ...يامن تقولون تسلط علينا الظالم، يامن تقولون أنا أبُتليت من ظلم ظالم، يا من تشتكين زوج ظالم أو مديرك الظالم، يا من تشتكي من أب ظالم، يا من تشتكي من حاكم ظالم ... إنه لايولى عليك ولايسلط عليك ظالم إلا بظلمك، ألم يقل الله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[الحجرات١١] وقوله تعالى: {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ}[التوبة١٢٦]وهذا في خواتيم سورة التوبة لتقول أفهموا الدرس ...كل الفتن والأبتلاءات لنحرر التوبة ونجدد التوبة لكي نرجع إلى الله سبحانه وتعالى، علينا أن نفهم هذه المعاني والأ نتجاوزها ... نكرر الصلاة والتوبة .... ونسأل الله العفو و العافية.

أين الصدق والأخلاص وقوله صلى الله عليه وسلم: " ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ "[حسنه الألباني٢٤٥] وكذلك: "_يُستَجابُ لأحدِكم ما لم يعجَلْ قيل وكيف يعجَلُ يا رسولَ اللهِ قال يقولُ قد دعوتُ اللهَ فلم يستجِبِ اللهُ لي "[صححه الألباني١٢١٣] وأين فهم السنن عن الله؟ ... أين ذلك؟

أين الأمتثال ؟ أين التربية على هذه المعاني؟ أين التوبة الحقيقية؟

تجد من يفهم موضوع التوبة خطأ ويحقق هذا الأمر في الواقع خطأ .....كل الموضوع خمس أو ستة ذنوب لو تبنا منهم لأصبحنا من أولياء الله الصالحين وفي قلوبنا مايعلمه العليم الخبير.... لايعلم ذلك الا الله ...من آفات كالكبر والعجب والأنتفاخ بالنفس ورؤية العمل والأحساس بنفسي ومن بعدي الطوفان وأحتكار الحق وشعور غريب بالتعالي ومشاكل من مرءاة الناس وشهوات خفية ... ألم يقل العلماء أن الشهوة الخفية حب الجاه، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ مُهلِكاتٌ : شُحٌّ مُطاعٌ ، و هوًى مُتَّبَعٌ ، و إعجابُ المرءِ بنفسِه" [حسنه الألباني٣٠٣٩]فنحن في زمن الآثرة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: " سَتَكُونُ بَعْدِي أثرَةٌ و أُمُورٌ تُنْكِرُونَها ، قالوا : فما تأمُرُنا ؟ قال : تُؤَدُّونَ الحقَّ الذي عليكُمْ ، و تَسْأَلُونَ اللهَ الذي لَكُمْ "[صححه الألباني٣٦٢٠] ما إن تتحدث للأسف الشديد مع أحد حتى من يسمون بأهل الألتزام والصلاح والدعوة إلى الله وأهل العلم....كلٍ يحتكر ذلك، كلٍ عنده مشروعه الخاص، كلٍ له رؤيته الخاصة ...لايوجد جماعية في التفكير، ولافقه الأولويات ووووو ..... ثم ماذا ياشباب المسلمين؟ متي نتوب؟ متى نفهم أن التوبة الحقيقية التي تحققت لكعب بعد خمسين يوم من الأبتلاء الشديد والعصر...... تحرم عليه زوجته ويحرم عليه الكلام مع الناس، هذه الهجرة الشديدة ...عُصِر خمسين يوماً ثم يقول له النبي صلى

الله عليه وسلم أبشربخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ...تاب الله عليك، وأنا هنا في مقام الحج أريد أن نستبشر ببشارة كعب، خير يوم يمر علينا منذ أن ولدتنا أمهاتنا يوم يتوب الله علينا ويتقبلنا ويفتح لنا الباب، عسى أن يأخذ بأيدينا ونواصينا إليه أخذ الكرام عليه، نحتاج أن نحقق هذه المعاني القلبية بأن نفهم عظمة المكان الذي نتجه إليه ونحرر التوبة ونرد المظالم المالية – من نصب على غيره ومن تساهل مع غيره ومن لم يتوخ الورع في مثل ذلك–والأساءة إلى الغير والغيبة والمشاكل والشبهات التي نعاني منها، احذر من هذه فقد تكون قد دخلت في شئ لايجب عليك، يجب عليك أن توجه إلى من يقوم بذلك...فهذا ليس شأنك وليس علينا ان نحكم على نيات الغير وتوجهاتهم فكل له حاله، قد أكون ناقم أشد النقمة على تصرفات أو أقوال لكن عليّ أن أتوخى الحذر لان الخصومات تأكل الحسنات وتأكل إيمان العبد ونجد قلوبنا ضاعت، بالله عليكم كل واحد يضع يده على قلبه ويدعوا الله أن يصلح قلبه، ويسترك ويحفظك فقد فتن الكثير من قبلنا فماذا نفعل نحن؟؟؟؟

أين نحن من حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم:" فوالذي لا إلهَ غيرُه إن أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونَ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيختمُ له بعملِ أهلِ النارِ فيكونُ من أهلِها "[صححه أحمد شاكر٧٢/٦] هناك حفظة قرءان يعطون الناس الأجازة ثم نجدهم يتولوا الذين كفروا ويقولون كلام لاينبغي أن يخرج من فم أنسان مؤمن ويصل بهم الحال إلى أشياء يندى لها الجبين، مال هولاء الناس؟؟؟ وأين أنا منهم؟؟؟

يارب استرني .... يارب لاتفتني .... يارب سلم، يارب إن أردت بالناس فتنة فاقبضني ولا تفتني اقبضنا إليك غير مفتونين .... هكذا يكون الحال، ولا أجلس أشمت وأنقد وأسخر ..... أدعوا الله أن يسترنا ولاتفضحنا، بالله ياشباب أفهموا هذه المعاني جيداً إذا كان أول الأمور أن يبدأ بالتوبة فهناك رد المظالم وقضاء الدين، لانتوسع في أمور الدنيا عن طريق الأقتراض وهذا بالأخص لرجال الأعمال وماشابه الذين يتوسعون في هذا المجال ثم تصبح مشكلة كبيرة وخاصة إذا وافته المنية وهذه الديون يؤخر بسببها في الحساب فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لايصلي على أحد حتى يسأل هل عليه دين؟ روى جابر بن عبد الله: تُوفِّي رجلٌ فغسَّلْناه وحنَّطناه وكفنَّاه ثم أتينا به رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي عليه فقلنا تُصلِّي عليه فخطا خُطًى ثم قال أعليه دَينٌ قلنا ديناران فانصرف فتحمَّلها أبو قَتادةَ فأتيناه فقال أبو قَتادةَ الدينارانِ عليَّ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُحِقَّ الغريمُ وبرئَ منهما الميِّتُ قال نعم فصلى عليه ثم قال بعد ذلك بيومٍ ما فعل الدينارانِ فقال إنما مات أمسِ فقال فعاد إليه من الغدِ فقال قد قضيتُهما فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الآن برَدَتْ جلدتُه "[حسنه الألباني٢٤٨/٥]كأنه طول هذا الوقت كان ينتظر الحساب وسؤال الملكين ويفتح له باب الجنة ويرى مقعده فيها ويصير قبره روضة من رياض الجنة ويعجل له ذلك إن شاء الله .... فلا تستخفوا بهذا الدين.

وعلينا أن نعد العدة فى النفقة اللأزمة قال تعالى: { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً }[التوبة٤٦]

يأخذ معه مايكفيه ولايقتر ويمكن أن يوسع على الناس فقد قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " أفضلُ الحجِّ العَجُّ و الثَّجُّ " [حسنه الألباني١١٠١] العج والثج: كثرة النحر ورفع الصوت بالتلبية، خروف الهدي لو أصبح اثنان لكان أفضل وهكذا، لو ذبح جمال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وينفق على الفقراء والمساكين في الحج والعمرة لكان خير له، ومعاونة الرفقة التي معه ويوسع عليهم فهذا أيضا من تتمة الأمر. وكذلك السواك الجميل وما إلى ذلك من أمور الطهارة في غاية الأهمية فالطهارة القلبية مثل الطهارة الجسدية وسوف نستكمل هذه الأسرار والمعاني ......

نريد أن نختم هذا الدرس ببعض المعاني القلبية كما بدأنا سنعيد وكما بدأنا سننتهي بالشوق إلى بيت الله الحرام، وهذه المعاني والقرب من الله تبارك وتعالى ....

أولاً: قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ " إنَّ اللهَ تعالى يقولُ : إنَّ عبدًا أصحَحتُ لهُ جسمَهُ ، ووسَّعتُ عليهِ في مَعيشتِهِ ، تمضي عليهِ خمسةُ أعوامٍ لا يَفِدُ إليَّ لمَحرومٌ" [صححه الألباني١٩٠٩]تأملوا قوله: لايفد إليَّ ....ولم يقل: لايفد الي بيتي، فهذه الرحلة رحلة إلى الله وكم نشعر بالأنقطاع عن الله!، وكم نفتقد الوصال بالله! كم نشتكي من إنصراف قلوبنا! وكم بعدنا عن باب ربنا .... أنظروا بهذا المعنى إلى حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: " تلا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ هذهِ الآيةَ { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } وقالَ إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ نادى منادٍ يا أهلَ الجنَّةِ إنَّ لكُم عندَ اللَّهِ موعِدًا يريدُ أن ينجزَكُموهُ فيقولونَ وما هوَ ألَم يثقِّلِ اللَّهُ موازينَنا ويُبيِّضْ وجوهَنا ويدخلْنا الجنَّةَ وينجِّنا منَ النَّارِ قالَ فيَكشفُ الحجابَ فينظرونَ إليهِ فواللَّهِ ما أعطاهمُ اللَّهُ شيئًا أحبَّ إليهم منَ النَّظرِ – يعني إليهِ – ولا أقرَّ لأعينِهِم " [صححه الألباني١٥٥] اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. أنظروا إلى الناس الذين يفدون إلى البيت ويشتاقون إليه وتأملوا قوله تعالى:{ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا } [البقرة١٢٥] فهذا هو المغناطيس الذي يجذب القلوب....

ومن ذاق لذة القرب عرف....ومن شرب من نهر الحب اغترف.

تأملوا في حال سادة المشتاقين .... سفيان بن عيينة يقول: شهدتُ ثمانين موقفا وكان من شدة شوقي وحبي أدعوا الله في كل موقف اللهم لاتجعله آخر العهد بك، وقد علم الله صدق محبتي وشدة شوقي فاستجاب دعائي ولم يحرمني فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شئ فسئل عن ذلك فقال: قد أستحييت من الله.

وهذا عبد الله بن الأمام أحمد قال: حج أبي خمس حجات ثلاث راكبا واثنتين ماشيا، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهما، فكان من شدة شوقه أنه إذا لم يجد زاد الحاج عمل حمالاً –الأمام أحمد يعمل شيال! تخيلوا– ليجد تكاليف الرحلة ولايحرم.

وأم أيمن زوجة أبي عليّ من مصر لما رأت الجمال تتوجه إلى مكة صرخت: وضعفاه وعبساه وحسرتاه ... ثم زاد بكائها وعلا نحيبها أكثر وأكثر وهي تقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت.

نسأل ربنا أن يرزقنا الحج والعمرة ويتابع لنا بين الحج والعمرة وأن يرزقنا ولايحرمنا زيارة بيته وأن يجعل الممات هناك ونسأله حسن الخاتمة، ونسأله حسن الخاتمة، ونسأله حسن الخاتمة.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تفريغ درس ٢٣

الرحلة الى الله

أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،الحمد لله وكفى وصلّى الله وسلّم وبارك على النّبي المصطفى وآله المستكملين الشّرف،ثم أما بعد، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علّمنا وأن يزيدنا علما ينفعنا، اللّهم

ارزقنا الصّدق والإخلاص في القول والعمل، اللّهم اجعل عملنا كلّه صالحا ولوجهك خالصا ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئا. ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا من أمرنا رشدا.

هذا هو الدّرس الثالث والعشرون في مدارسة ربع العبادات من كتاب مختصر منهاج القاصدين وكنّا بصدد الحديث عن أسرار الحجّ و فضائله وآدابه، وهذا لابدّ للإنسان منه لأننا إن كنا نتكلم عن الرّكن الخامس من أركان الإسلام، نتحدث عن أب العبادات الحج لأنّ الحج يجتمع فيه عزم القلب وفعل البدن وإخراج المال، فيجمع ما بين ما في الصلاة والصيام وما في الزكاة، إن كنّا نتحدث عن ذلك فلابدّ للإنسان أن يكون صاحب أشواق للحج فلا يختص ذلك فقط بأهل اليسار ممّن يستطيع الحج أو يُتصوّر منه أن يحج وإنّما هذا يشمل الناس جميعا.

وكنّا نتكلّم عن ما قبل هذه الرحلة المباركة: تلك الرحلة إلى الله تبارك وتعالى وينبغي للإنسان أن يعزم على مفارقة راحته ورفاهيّته حتى ينال ثواب الحج، أن يجعل نصب عينه مسألة تحرير ركني القبول: الإخلاص والمتابعة للنّبي صلى الله عليه وسلم، وإنّ النبي صلى الله عليه وسلم لمّا لبّى قال" لَبَّيْك بحجَّةٍ لا سُمعةَ فيها ولا رياءَ" [صحّحه الألباني في مختصر الشمائل (٢٨٨)]. وعلى الإنسان أن يعلم أن هذا الزمان زمان النُسك زمان نفيس لذلك قالوا حجَّ مسروق رضي الله عنه فلم ينم إلا ساجدا .

ولذا لابدّ من التشمير لإنجاز أكثر ما يستطيعه الإنسان وأن تعلو الهمم في هذا الزمان المبارك

وعلى الإنسان أن يتدرب ويتعود على قطع العلائق، كلمة قطع العلائق ما معناها ؟ معناها كيف يتدرّب العبد على أن قلبه لا يلتفت لا لأهل ولا لمال ولا لعمل؟ كيف لا يملأ القلب سوى بهمّ جليل يتزلزل بسببه كيان الحاج ويضطرب بسببه أوصاله وهو أن ينال القرب من الله تبارك وتعالى؟ أن يتحقق بثمرات الحج أن يغفر الله للعبد السائر إليه هذا فيجعل صحيفة الأعمال بيضاء، أن يكون في رفقة النبي صلى الله عليه وسلم، أن ينال الفردوس، أن يُعتق من النّار ويبلّغ أعلى المنازل في درجات الفردوس حينما يكون أقرب ما يكون إلى ربّه تبارك وتعالى {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحريم:١١]

إذا نحتاج دائما أن نتهيأ جيّدا قبل الأعمال لأنه قانون معلوم أنّه على قدر الإعداد والاستعداد يكون الإمداد من الله تبارك وتعالى.

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة:٤٦]

على الإنسان كما أسلفنا عدّة واجبات من ذلك أوّل ما يبدأ به أمر التوبة ثم عليه أن يردّ المظالم وأن يقضي الدّيون التي عليه وأن يردّ الودائع إذا كان هناك من استودعه شيء، عليه أن يردّ هذه الودائع أو أن يوصي بردّها إن لم يستطع ذلك وعليه أن يكتب وصيّته.

أنا أريد أن تكونوا دائما على علم بأشياء معيّنة في فقه التعامل مع القلب. لمّا الإنسان منا يكون مبتلى بغفلة وناسي لموضوع الآخرة، دائما احفظوها في الطريق إلى الله عزّ وجلّ: ليس شيء يليّن القلب مثل كثرة الاستغفار، يجلي القلب ويصرف عنه الصّدأ بنصّ حديث النبي ﷺ "فإنْ هو نَزَعَ واسْتغفرَ وتابَ صُقِلَ قلْبُهُ"[حسنه الألباني في صحيح الجامع(١٦٧٠)] وليس شيء يصلح القلب، الأولى تزيل الصدأ، مثل دخول الآخرة في هذا القلب. يعني لو نريد أن نجعل هذا القلب مستقيما فدائما يجب تذكار الآخرة.

لذا قال الله تبارك وتعالى في شأن الخليل ابراهيم عليه السلام {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص:٤٦] الإنسان لما تكون الآخرة منه على بال، لا شك أنّ صاحب ذلك صاحب قلب سليم إلى أبعد ما يكون.

أمّا القلب فيزوغ بسبب الدنيا قال ﷺ: "حتى لا يزيغ قلب إن أزاغه إلا هي" **[حّسنه الألباني في صحيح الجامع(٩)].**

فماذا نفعل لنتذكر الآخرة؟

علينا بعيادة المرضى لا سيما أصحاب الحالات الحرجة، ومنها ما يخص ما نحن بصدده، وهو مسألة كتابة الوصية فقد قال ﷺ " ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ ، له شيءٌ يريدُ أن يوصيَ فيه ، يبيتُ ليلتين ، إلا ووصيتُه مكتوبةٌ عنده" [صحيح مسلم (١٦٢٧)]

وأظن أن هذه سنة مهجورة .النبي ﷺ **قال:** "ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" [صحيح مسلم (١٦٢٧)] وهنا ينبغي للإنسان منا أن يتذكر دائما أبدا أن يتذكّر الخواتيم، يتذكر فجأة الموت، يتذكر أن الساعة تأتي بغتة وأن القبر صندوق العمل.

ثم بعد ذلك من الآداب أن يودّع الأهل وإذا ما قمنا بعمل من هذه الأعمال سواء الحج أو العمرة أو حال الذهاب لطلب العلم أو لسفر بشكل عام علينا دائما أبدا أن نتذكر سفر الآخرة {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} [الكهف:٦٢]، سفر الدنيا، فينبغي أن نتذكر أننّا في أيام سفر وأنّ المقام في الجنة.

فحيّ على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيّم. فينبغي دائما أن نتذكر صلّ صلاة مودع وتصدق بصدقة مودع وصم صيام مودع واعتمر اعتمار مودّع وحج حج مودّع.

وقد أثر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ،الحديث في صحيح الجامع، كان إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده ويقول "أستودِعُ اللَّهَ دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملِك" [قال الألباني في صحيح الترمذي(١٦٢٧): صحيح]، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، فهذا من السنة حال توديع الأهل.

قال المصنّف و ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير، وتعلمون أن المرء على دين خليله والصاحب ساحب، ولا شك أن الرفقة الصالحة من أعظم المعينات على الطاعات، فيلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن ضاق صدره صبّره وليؤمّر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقا وأرفقهم بالأصحاب، نعرف أنه من السنة إذا كان الناس جماعة حال السفر عليهم أن يؤمّروا عليهم، فهنا يقول المصنف أنه علينا أن نختار أحسن من فينا خلقا، أكثرنا حلما، أكثرنا حكمة أكثرنا تواضعا لأن هذه المعاني بلا شك يحتاجها الناس لاسيما في الأسفار، لأنه توجد أشياء كثيرة مستفزة في سفر الحج والعمرة وخاصة في الحج تكون أشياء كثيرة يتعرض لها الناس فلما يكون هذا الأمير الذي يتحلى بحسن الخلق فهذا من فقه الطريق حتى لا يقع الناس في مخالفات كما ستأتينا في أمور الحج قال الله {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}[البقرة:١٩٧]. لأنّه دائما توجد مشاكل في هذه الأمور.

وقال إنمّا احتيج إلى التّأمير لأنّ الآراء تختلف فلا ينتظم التدبير، هذه هي المشكلة: أنا سآخذ برأي س من الناس، أنا سألت اللجنة الموجودة في المسجد الحرام سألت هناك فقالوا لي كذا وآخر يقول أنا سألت في مصر قبل أن أذهب فقالوا لي كذا وآخر يقول أنا الشيخ الموجود في الخيمة التي بجانبنا قال كذا، فهذا الذي يسبّب إشكاليات في حجّ الناس، لذلك نتّخذ أميرا. وهذا الرجل فيه من المواصفات سواء من الفقه سواء من العلم وحسن الخلق بحيث أن نسير على قوله وعليه أن يستشير في الأمور العامّة، يا جماعة هل نمشي الآن؟ أم نمشي بعد قليل؟ ما رأيكم نفعل كذا ؟ فهذا تحقيق لمعنى {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} [الشورى:٣٨]، قال لأنّ الآراء تختلف فلا ينتظم التدبير، وعلى الأمير الرّفق بالقوم والنّظر في مصالحهم ويجعل نفسه وقاية لهم.

ينبغي للمسافر تطييب الكلام، إذًا من واجبات الأمير أن يكون رفيقا، أن يكون حكيما، أن ينظر ما فيه مصلحة الناس، أن يتعامل، لا يأخذهم بأشد الأقوال وإنما يكون ذا سعة في الصدر والأفق تكون مشكلة في الحج عندما يكون هناك شباب وكبار في السنّ.. الشباب: نريد أن نطبّق السنّة ونفعل كذا وكذا، ممتاز رائع لكن هناك رخص لكبار السنّ لابدّ أن تُراعى، فيقول: لا وماذا يعني ذلك؟ فهو جاء ليحج فلا بأس إن تعب قليلا، ولو أنت وضعت نفسك محل هذا الرجل الكبير لكان شيئا آخر ولطالبت برفع الحرج، يكون معنا ناس عندهم مرض السكري مثلا يحتاجون إلى قضاء الحاجة بشكل مستمر ولأننا نقول لهم أنّ

المسألة تكون عسيرة عليهم جدا ويكون الإنسان سامع قول من هنا أو هناك فيأخذ النّاس بأشدّ الأقوال وهذا ليس من الفقه بشيء، فينبغي أن يكون رفيقا، ناظرا في مصلحة النّاس وأن يجعل نفسه وقاية لهم .. وينبغي للمسافر تطييب الكلام وإطعام الطعام وإظهار محاسن الأخلاق وهذا من برّ الحج كما قلنا.

فإنّ السفر يُخرج خفايا الباطن، قالوا إنما سمّي السفر سفرا لأنه يسفر أي يظهر أخلاق الناس، لذلك علينا أن نتحرّى أخلاق السفر ومنها حسن الخلق في التعامل مع الناس ومن كان في السفر الذي هو مظنّة الضجر حسَنَ الخلق كان في الحضر أحسن خلقا، في الوقت الذي كان مستفزا فيه كان هادئ وليّن حقّق معنى حديث النّبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ كان سهْلًا هيِّنًا ليِّنًا ، حرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ" [صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨٤)] كان حقّا محقّقا لصفات عباد الرحمن {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان،٦٣]،كان حقا متحلّ بهذه الصفات العالية {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت،٣٤].

الناس الذين عندهم هذه المعاني فإذا كانوا في السفر بهذا الحلم وهذا الرفق بلا شك فهم في الحضر أحسن خلقا، وتعلمون أنّ أقربكم من النّبي صلى الله عليه وسلم "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ ، وأقربِكم منِّي مَجلسًا يومَ القِيامةِ ؛ أحسنُكم أخلاقًا " [صححه الألباني صحيح الترغيب (٢٦٤٩)]، " إنَّ المؤمنَ ليُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصَّائمِ القائمِ " [صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٤٣)]، وقد قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحظر ورفقائه في السفر فلا تشكّوا في صلاحه. أي إذا كنتم تريدون أن تعرفوا علامة الصلاح، إسأل عن هذا الإنسان في معاملاته. علماء التزكية قالوا: هناك ما يسمّى بالتحقّق، كيف أعرف أنّ إيماني حقيقي؟ كيف أعرف أني ساع في تزكية نفسي؟ قالوا: شيئين في هذا الأمر، أوّل شيء: آفات اللسان، ثانيا: معاملات الإنسان هذا مع الناس، فإذا كانت معاملات هذا الإنسان في السّفر والحضر جيّدة، هذا الإنسان لا يُشَكّ في صلاحه.

وينبغي له أن يودّع رفقائه و إخوانه المقيمين ويلتمس أدعيتهم ويجعل خروجه بكرة يوم الخميس لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الخميس في غزوة تبوك وكان يحبّ أن يخرج في السّفر يوم الخميس، هكذا من السنّة والحديث في البخاري، فيجعل خروجه بُكرة يوم الخميس يعني في وقت الضّحى من يوم الخميس إن استطاع ذلك ... وليصلّ في منزله ركعتين قبل الخروج منه ويستودع أهله وماله ويستذكر الأذكار والأدعية عند الخروج من منزله، في ركوبه ونزوله، وهي مشهورة في كثير من الكتب في مناسك الحج وكذلك جميع المناسك كالطواف والسعي والوقوف بعرفة، يأخذ كتاب الأذكار الذي يساعده في كل موطن من هذه المواطن، أن يتذكّر ما كان مأثورا عن النّبي صلى الله عليه وسلم؛ هذه الطّريقة لا شك من الأمور التي يوصى بها في صناعة الالتزام.

هذه هي السنّة، الحديث في صحيح مسلم يجعل خروجه بكرة الخميس وشيوخنا علّمونا هذا وأوصونا به، قالوا: في بداية الطّريق خذ كتاب مثل حصن المسلم وابدأ احفظ ولو ذكر كل أسبوع وابدأ بالتّعود عليه، هذا مجرّب ومعروف وله تأثير سحري في تغيير أحوال هذا الإنسان إلتزاميّا.

فأصبح يعرف وليس غافلا عن هذه الأذكار، لمّا يكون وقت الصباح يقول أذكار الصباح، لمّا يكون وقت المساء يقول أذكار المساء، عند الخروج من البيت عند الدخول إلى البيت لما يدخل إلى المسجد لما يخرج من المسجد لما يدخل إلى الخلاء لما يخرج منه في سائر الأمر هو ذاكر لله تبارك وتعالى، فمجرّب أنّ لهذا تأثير عجيب على التزام الناس، فأنا أوصيكم ونفسي بذلك.

سيأتينا إن شاء الله تعالى بعد درسين أو ثلاث إن شاء الله سيأتينا كتاب الأذكار وسوف نبسط الكلام في ذلك إن شاء الله في فقهيات الأمر وفي أسرار الذكر و إن شاء الله نشرح بعض ما ورد من أوراد و أذكار فهي بلا شك تصنع الإيمان فهي بحق تصنع الإلتزام نستطيع أن نقول كذلك وهي من مزيدات الإيمان ..

قال: يصطحب دائما كتاب الأذكار ويكون دائما متذكر لأذكار السعي، الوقوف بعرفة وغير ذلك من أعمال الحج يأتي فيها بما ذكر من الأذكار والدعوات والآداب وكل ذلك مستوفى في كتب الفقه وغيرها فليُطلب هناك نوصي دائما بالكتب المعلومة: كتاب النصيحة لشيخنا الشيخ محمد إبن إسماعيل كتاب حصن المسلم للشيخ القحطاني وغيرها من كتب الأذكار كتاب الأنس بذكر الله كتاب نافع للشيخ يعقوب إلى غير ذلك من هذه الكتب التي تجمع الأذكار وبعضها يكون فيه بعض من الشرح اليسير على هذه الأذكار.

فصل في الآداب الباطنة وإشارة إلى أسرار الحج

إذًا، بعد هذا قال فصل في الآداب الباطنة وإشارة إلى أسرار الحجّ، نكون هكذا انتهينا من مرحلة ماقبل الحجّ، نبدأ في الكلام عن هذه الرّحلة المباركة ونحن نعيش هكذا خلال الدّرس كأنّنا الآن ذهبت قلوبنا إلى بيت الله الحرام، كأنّنا الآن قد أغمضنا العين وعشنا في خيالنا هذا الحلم الجميل أنّنا الآن نحو بيت الله الحرام.

أولا فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتجرد والإنفراد لخدمته، افهموا هذا الكلام العظيم الخطير الذي سيقال الآن؛ يا جماعة ما مشكلتنا في هذا الوقت؟ ما مشكلة قلوبنا ؟مشكلتنا أننا مشغولين بهمومنا شهواتنا دنيتنا أحوالنا، أن فينا ميل للفجور، قلنا هذا الكلام أكثر من مرة إبن آدم فيه ميل للفجور وميل للتقوى وقلنا أنّ الشيطان يوسوس والنفس تسول وكل هذه التركيبة صراعات شديدة يصارع فيها حتى يكون القلب لله وتزكو النفس. ولنصل لمرحلة طهارة القلب وتزكية النفس ونصل إلى الله تبارك وتعالى كل الطرق تقطع بالأقدام إلاّ طريق الرحمن فيقطع بالجنان أي بالقلب، فلن يحدث أن الإنسان منا يصل إلى ربنا تبارك وتعالى إلا بالتجرد والإنفراد لخدمته أن الإنسان يغلق على نفسه ويتعود في الخلوة أن يكون له حال مع ربنا سبحانه وتعالى أنه يتعلم عبودية التبتل عبودية الإنقطاع لله، عبودية الإشتغال بالله ،عبودية عكوف القلب على الله،هذه المعاني الغالية والعالية والسامية لا تتأتى إلّا بعزم وهذا لا يتأتى إلا بعزم على ذلك بإرادة وعلو همة لا تتأتى إلا بيقين أن هذا هو الطريق، إلا بالصدق والإخلاص في طلب رضا الرب تبارك

وتعالى

إلا بتحقيق { وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ} [الليل ٢١:١٩]

رفع شعار {إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى}، رفع شعار {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].

التفرد والتجرد للخدمة:

فتكون أحب الألقاب إلا أنفسنا عبد وأمة ويليه خادم، أنا خادم ماذا تشتغل؟ أنا خادم في طريق الله، اخدم على ما أستطيع، ما هو العمل الذي تحبه؟ خدمة ربنا، أن أكون خادم لخدمة ربنا، أن أخدم وأُستعمل في الطريق، في الدعوة إلى ربنا، هذه هي الخدمة، وقد كان الرهبان ينفردون في الجبال طلبة للأنس بالله فجعل الحج رهبانية لهذه الأمة، جعل الحج لكي يأنس الناس بالله وينفردوا ويتجردوا في خدمة ربهم تبارك وتعالى.

قال فمن الآداب المذكورة أن يكون خاليا من تجارة تشغل قلبه وتفرغ همّه، صحيح الأمر مباح {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} لكن يأتي الأمر عرضا، نشتري بعض الحاجات من السعودية، نتاجر بها أو غير ذلك هذا لا ينبغي أن يكون شاغل الإنسان، للأسف البعض من الناس يقع في هذا فيتحول حجه إلى ملاهي، وإنما المطلوب أن ينشغل القلب بالعبادة ليجتمع على طاعة الله تبارك وتعالى وأن يكون أشعث أغبر_ انظروا ربنا وتعالى لما قال { ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} [الحج (٢٩)]

الحج لمن لا يعرف كيف يكون، المفروض أنّ أيام الحج هي ستة أيام تبدأ بيوم التروية وتنتهي في آخر أيام التشريق وهو اليوم

الثالث عشر من ذي الحجة.

المفترض أنه أول ما يبدأ الإنسان بأعمال الحج يبدأها بيوم التروية، من السنّة أن نذهب إلى مِنى وهناك يكون الإنسان قبلها قد أحرم بالحجّ ويذهب إلى منى ويصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر كل في وقته لكن يقصره الإنسان، يصلّي الظهر ركعتين والعصر ركعتين والمغرب ثلاث والعشاء إثنتين وبعد الفجر يبدأ يتحرك إلى عرفة هذا يكون اليوم التاسع من ذي الحجة ويدخل إلى عرفة والمفترض أنه يدخلها قبل الزوال أي قبل وقت الظهر.

ثم يأتي بعد ذلك وقت الظهر فيصلي الظهر والعصر جمعا وقصرا ويستمرّ في هذا الوقت في الدعاء والإستغفار وطلب التوبة من الله تبارك وتعالى إلى أن تغرب الشمس ثم يتحرك بعد ذلك إلى مزدلفة ويصلي هناك المغرب والعشاء سواء لو ذهب مبكرا قبل آذان العشاء فيصليهما جمعا وقصرا جمع تقديم وإذا وصل بعد آذان العشاء وهذا الغالب يصلي المغرب والعشاء جمع تأخير ويبيت هذه الليلة في مزدلفة إلى أن يأتي وقت الفجر فيصلي الفجر في مزدلفة ثم يذهب بعد ذلك إلى المشعر الحرام ويدعو كثيرا حتى تسفر الشمس ثم يتوجه بعد ذلك يوم النحر وهو يوم العيد يوم عشرة من ذي الحجة لأعمال يوم النحر وتكون هذه الأعمال أنّ عليه أن يرمي جمرة العقبة الكبرى سبع حصيات وتكون هذه الحصيات قد جمعها من مزدلفة لا يجمع كل

الحصى كلها إن شاء صنعه وإن شاء صنع ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يجمع سبع حصيات ويرميها يوم النحر هذا ويكون لابس ملابس الإحرام بالنسبة للرجل والمرأة كذلك في إحرامها طبعا هناك أمور فقهية معينة مذكورة في موضعها في دراسة الفقه، لكنّنا نتحدث فقط لنعرف الأسرار القلبية كيف تحج قلوبنا؟.

بعد ذلك، المفروض في يوم النحر هذا يرمي الجمار ويذبح الهدي وإن إستطاع يطوف للإفاضة ويحلق، عنده أربعة أعمال: هناك تفاصيل فقهية كثيرة لكن هذه الأعمال يمكن أن يؤخّر بعضها مثل طواف الإفاضة.. ما صنعه النبي صلى الله عليه وسلم رمى وذبح وحلق ثم طاف للإفاضة ثم عاد إلى منى.

وهناك لما يذهب إلى منى يقعد هذه الفترة وهي من أوّل ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشركل يوم بعد الظهر يرمي الجمرات الثلاث :جمرة العقبة الصغرى والوسطى والكبرى بسبع حصيات وتكفّر كبيرة من الكبائر بكل حصى يرميها، اليوم الأول يرمي سبع حصيات اليوم الثاني واحد وعشرون اليوم الثالث واحد وعشرون اليوم الرابع إن شاء ولم يتعجل واحد وعشرون فتكون سبعين كبيرة من الكبائر تكفر للحاج

لهذا الحج عظيم الأجر أمن بركات الحج ومن الأشياء التي يجب أن نعض عليها بالنواجذ أن الحج سبب لكفران التبعات، ماذا يعني كفران التبعات؟ يعني إنسان اغتاب شخص ونسي يأتي هذا الذي اغتابه فيقول اغتابني ويأخذ من حسناته أو أنسان في وقت ما الشيطان لعب به أغوى إنسان أو ما شابهها من المظالم ماذا يفعل هذا ولا يعرف كيف يستدركها في الدنيا ماذا يصنع النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر قال لعمر "أسكت لي الناس إن الله عز وجل يقول لأهل الموقف أهل موقف عرفات أفيضوا عبادي مغفورا لكم وتحملت عنكم التبعات"

يا له من عظيم أجر للحجاج!

لهذا يجب أن نعرف كم أجر الحج عظيم وأن تنووا الحج هذا العام: يا شيخ لا يوجد مال لا يوجد امكانيات !! إنوِ فقط واتركها على الله سبحانه وتعالى يمكن تبلغها بنيتك، اللهم قد حبسنا العذر فلا تحرمنا الأجر، في كل وقت هكذا يكتب لك أجر هذه الحجة وأنت في بلادك، نية المرء خير من عمله . قلنا كل هذا الكلام لأن ربنا قال ثم ليقضوا تفثهم المفترض أنه لما يتحلل، لما يرمي ثم يذبح ثم يحلق يكون هكذا قد تحلل تحلل أوّل، الرجال ينزعون ملابس الإحرام ويلبسون ملابسهم ربنا يقول{ ثم ليقضوا تفثهم} وتفثهم يعني أن حتى ملابسهم أصبحت تستقذر العرق ونام البارحة في مزدلفة وقبلها كان في عرفة فكان هناك جهد ولم يخلع هذه الملابس، فيقولون أن فيها عرق الخدمة والناس لا تحب من شعره غير مرجل، يعني لا يضع كريمات ولا

روائح المفروض أن الروائح وما شابهها والروائح خاصة من محظورات الإحرام طبعا ولا يجوز أن يأخذ الإنسان من شعر رأسه ولا من شعر جسده هذا من محظورات الإحرام فيكون أغبر أشعث وربنا سبحانه وتعالى يحبه هكذا، كخلوف فم الصائم الناس لا يحبون هذه الرائحة والله سبحانه وتعالى أطيب عنده من ريح المسك فربنا يحبّك وأنت ذليل له، يحبك وأنت منشغل به وفي نفس الوقت الله جميل يحب الجمال هذه هي العبودية في هذا الوقت ليس مطلوب منك أن تكون أشعث أغبر، أن لا تهتم بشكلك أو تسرح شعرك وإنما تكون ناسي للدنيا تماما وتكون محقق لقول النبي صلى الله عليه وسلم "إنَّ البذاذةَ منَ الإيمانِ "[صححه الألباني في صحيح أبي داود(٤١٦١)]

لأن الواحد منا لما يلبس لباس الإحرام يستشعر أنه لابس الكفن، أنه سيبعث هكذا، هذه هي الأكفان والناس كلها هكذا فلا تسطيع أن تفرق بين الملك والصعلوك، لا تستطيع أن تفرق بين الغفير والوزير، الكل سواسية يأتي الرحمن فردا، عبدا، **فكلّ** موقف في الحج يذكرنا بمشهد من مشاهد يوم القيامة**،** لهذا مطلوب أن يكون أشعث أغبر رث الهيئة غير مستكثر من الزينة وينبغي أن يتجنب ركوب المحمل إلا من عذر كمن لا يستمسك على الزابلة أي ما يحمل عليه من الإبل لأن النبي صلى الله عليه وسلم حج على راحلة وتحته رحل رث**،** لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان هكذا واضح عليه أثر التذلل والتواضع.

الأشياء التي كانت معه لم تكن فاخرة لم تكن ذات قيمة، هذا الرحل كان رثا، لهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو خزيمة والحديث في الصحيح وأبو يعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن الله عز وجل يباهي بالحاج الملائكة يقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم. [حديث ضعيف]

وقد شرف الله بيته وعظمه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حوله حرما له تفخيما لأمره وتعظيما لشأنه وجعل عرفة كالميدان على فنائه، هذه المعاني نحن نريد أن نرتبها ابتداء من أول إتخاذ الأمور التي تظهر فيها آثار التواضع وربطناها بمسألة الإحرام وكذلك قال المصنف: واعلم أن في واحد من أعمال الحج تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر فمن ذلك أن يتذكر بتحصيل الزاد تحصيل زاد الآخرة من الأعمال ونحن مهتمّون بجلب الأكل والشرب والأشياء التي سنستخدمها في هذه الرحلة نتذكر {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ} [البقرة:١٩٧].

الأمر الثاني: أن يحذر أن تكون أعماله فاسدة بسبب الرياء والسّمعة

فهنا لا ينتفع الإنسان بشيء من ذلك وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من رياء وسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر، فمن البداية تحرير النية حتى لا يفسد العمل يبقى صاحبه وقت الحاجة متحيرا ، يتذكر زاد الآخرة وهو التقوى فأول شيء يكون محرّرا نيته ومخلّصا لها من الرياء والسمعة بالدعاء والاكثار من قول "اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه " وأن يدعو بالإخلاص "اللّهم ارزقني الصدق والإخلاص في القول والعمل " "اللّهم حجّة لا رياء فيها ولا سمعة" كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات فليتذكّر خروجه من الدّنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال، فالإنسان لو أخذ طريقا برّيا أو حتى عن طريق البحر أو حتى عن طريق الجو يكون هناك عوائق هوائية أحيانا في الطريق كما يحصل هذا الأمر في الطريق لو كان برا أو بحرا، يتذكر دائما العوائق/المطبّات التي يواجهها في حياته وأنّ طريقه إلى ربّه تبارك وتعالى مليء بالعوائق، في نفس الوقت يتذكّر لمّا يخرج من قبره إلى أن يصل إلى الجنة إن شاء الله تعالى كم سيمرّ على مشاهد من حشر ومن ميزان ومن صراط ومن قنطرة وغير ذلك وما في يوم القيامة من الأهوال.

ومن ذلك أن يتذكّر وقت إحرامه وتجرّده من ثيابه إذا لبس المحرم الإحرام، أن يتذكّر لبس الكفن كما قلنا وأنه سيلقى ربّه على زي مخالف لزي أهل الدنيا، انظروا إلى الناس كم ينفقوا من الأموال على الملابس في حياتهم تجد أن الناس تصرف ألوف مؤلفة

على ذلك ليلبس لباس جيد ويظهر بمظهر طيب ثم هو لا يقابل ربّه بشيء من ذلك أبدا وإنّما سيلقى الله بهذه الأكفان، سيلقى الله بكفنه، وربنا يحبك هكذا في هذه الصورة أن تلبس الأكفان

قال الله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الإنشقاق:٦]، سنلقى الله عزّ وجلّ ونلقاه بأكفاننا.

فإذا لبّى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} [الحج:٢٧] فالإنسان لمّا يحرم وينوي الإحرام ويبدأ في التلبية بالصيغة المعروفة:

لبيك اللهمَّ ! لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ لا شريكَ لك [صحيح مسلم (١١٨٤)]

لبيك إله الحق لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء لك والعمل إليك لبيك ذي المعارج، لبيك ذي الفواضل لبيك اللهم لبيك إنّما الخير خير الآخرة.

هذه الصيغ واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وإن كانت أشهر الصيغ الصيغة الأولى صيغة لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنّعمة لك والملك لا شريك لك.

كلمة لبيك معناها أني أجيب نداء الله عز وجل على الفور وأني أجيبه محبا لله منقادا مطيعا ممتثلا. فالإنسان منا إذا قال هذه الكلمات ينبغي أن يخاف أن يقال له لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك، فقد قال سفيان إبن عيينة: حجّ علي ابن الحسين رضي الله عنهما فلمّا أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبّي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبّى أغشي عليه ووقع من على راحلته ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

ولما حجّ جعفر الصادق حفيد بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يلبّي فتغيّر وجهه فقيل له ما لك يا حفيد بنت رسول الله صلّى عليه وسلم قال أريد أن ألبّي وأخاف أن أسمع غير الجواب، فهناك من يقال له لبيك وسعديك وهناك من يقال له لا لبيك و لا سعديك .

إن العبد منّا إذا لبّى ينبغي أن يقولها وهو قد انخلع عن الدنيا، لبيك قادم إليك يا رب، جئتك طائعا مستجيبا، قادم إليك يا رب عازم على اتباع أوامرك، قادم إليك يا رب وأنا قد زهدت من الدنيا وممّا قد شغلني عنك، قادم إليك يا رب وأنا أعلم أني قد تأخرت كثيرا، قادم إليك يا رب وأنا على يقين بأنك ستهديني {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات:٩٩]

لذلك ينبغي أن يكرّرها حتى تخرج من قلبه، يكرّرها ويُعلي بها صوته لتكون شعاره وكأنّه يهتف بها أمام شيطانه، أمام نفسه الأمّارة بالسّوء.

هذا من السنةّ، فقد أتى جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه معه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية قال: " الحجِّ العَجُّ " [حسّنه الألباني في صحيح الجامع(١١٠١)] أي رفع الصّوت بالتلبية حتى أنّ الصحابة رضوان الله عليهم تبحّ أصواتهم من رفعها بالتلبية: ليقهروا الوسواس ويطردوا النعاس وبلا شكّ هذا أجلب للخشوع وأقرب للدّموع وممّا يعين على التلبية بشارة النبي صلى الله عليه وسلم "ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قطُّ إلَّا بُشِّرَ ، ولا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قطُّ إلَّا بُشِّرَ ، قيل : بالجنةِ ؟ قال : نَعَمْ" [حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة(١٦٢١)] الحديث في السلسلة الصحيحة حسّنه الألباني ومما يعين على التلبية كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما من مسلمٍ يلبِّي إلَّا لبَّى من عن يمينِه أو عن شمالِه من حجرٍ أو شجرٍ أو مدرٍ حتَّى تَنقطعَ الأرضُ من هاهنا وَهاهنا" [قال الألباني في صحيح الترمذي(٨٢٨): صحيح] أي كل ما حوله يلبّي بتلبيته وكأننّا عبّدنا الكائنات لله تبارك وتعالى.

قال صلى الله عليه وسلم "حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا" عن يمينه وشماله ومما يعين على التلبية أن تتأكد أن كل ما

مررت به من زرع وشجر وجماد وحجر سيشهد لك أمام الله يوم القيامة.
كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: اذكروا الله عند كل حجيرة وشجيرة لعلّها تأتي يوم القيامة تشهد لكم.
وممّا يعين على التلبية أن تشعر أن تلبيتك ماهي إلا طلب فيه إلحاح ودعاء في إصرار أن يحضر قلبك،أن تفيض دموعك، أن تخشع جوارحك، ومما يعين على التلبية أن تحدّث نفسك أنك على مقربة من الوصول إلى الكعبة المشرفة فتزداد شوقا مع كل خطوة وكلما دنوت شبرا تذكّرت أن الله عز وجل قال: " ومن تقرَّبَ منِّي شبرًا ، تقرَّبتُ منه ذراعًا ومن تقرَّبَ منِّي ذراعًا ، تقرَّبتُ منه باعًا .ومن أتاني يمشي ، أتيتُهُ هرولةً" [صحيح مسلم(٢٦٨٧)]، فتزيد ضربات القلب لذة وتضطرب المشاعر لوعة لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك لا شريك لك، طلّقت الدنيا، إني آت إليك ربي، إليك جئت يا قرة عيني إليك جئت يا منتهى سؤلي، إليك جئت ولا رب لي سواك ولا إله لي غيرك، فقيرك ببابك، مسكينك ببابك، مؤمل خيرك ببابك، راجي فضلك ببابك، محبّك ببابك، فلا تطردنا يا رب لا تطردنا يا رب عن جنابك أتيناك بذنوب كثيرة ومعاصي عديدة، أتيناك ولا رجاء لنا إلا فيك فلا تخيب فيك رجائنا فيا منتهى سؤلنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا من إليك المشتكى اللهم خذ بأيدينا للبر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.
يا رب يا رب ليّن لنا قلوبنا ولا تجعل في قلوبنا حبا إلا لك ولا تعلقا إلا بك يا سيدي يا مولاي يا حبيب قلوبنا إغفر لنا وارحمنا وتب علينا، اغفر لنا وارحمنا وتب علينا توبة ترضى بها عنا. اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة اللهم لا تحرمنا زيارة بيتك الحرام اللهم بلغنا الكعبة ربنا، بلغنا هذه البقعة المباركة التي تُضاعف فيها الحسنات، هذا المكان الأعز الأغر هذا المكان الأكرم بلغناه ربنا ولا تحرمناه فإذا ما بُلّغنا ذلك المبلغ فعلينا بالجمع بين الرجاء والخوف كيف لا وقد قال الله جلّ وعلا {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج:٢٥].
فمن يهمّ بالذنوب، لم يقع فيها وإنما عزم عليها، همّ بها، تُوعّد بالعذاب الأليم. ولذلك قال الإمام الحافظ ابن حجر في فتح الباري أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره، ولأنّ الله جمع في الحجّ حرمة الزّمان وحرمة المكان فكان الصّحابة يحذّرون الناس أشدّ التحذير
فكان عمر رضي الله عنه يقول: يا أهل مكة اتّقوا الله في حرمكم هذا، أتدرون من كان سابق حرمكم هذا قبلكم كان فيه بنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا وبنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا حتى عدّ ما شاء الله ثمّ قال والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إلي من أن أعمل واحدة بمكة ومن أخطر ما يكون أن الشيطان بطبيعة الحال يعمد إلى هدم ما يبنيه المعتمر والحاجّ.
وتجد الناس للأسف الشديد يقعون في ذنوب مثل إطلاق البصر، إختلاط الرجال بالنساء، فتجد أشياء يندى لها الجبين نسأل الله العفو والعافية نسأل الله العفو والعافية إذن نجمع بين الخوف والرجاء إذا ما حللنا مكة واقترينا من الحلول بالمسجد الحرام.
فإذا دخلت المسجد فكأنك تستأذن الآن في الدخول على الله، أنت ستقف بين يديه أنت الآن في هذا الموقف الجليل
فاستشعر الآن حين دخلت المسجد الحرام حال ذلك الذي ناجى ربّه فقال: إن ذنوبي سودت صحيفتي وأنا لا أستحق الدخول عليك يا مولاي ولكنّ الكريم يقبل من يكون مع الضيف إكراما للضيف وأنت أكرم الأكرمين، فهل تطرد من بابك من جاءك مع أضيافك وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، إن الله أكرم كلب أهل الكهف لما جاور أهل الكهف فاللهم أنزلنا حتى هذا المنزل إن لم نكن نستحق بالجوار، بجوار الصالحين فنحن نعلم شأننا ونعلم ما اقترفت أيدينا فاللهم لا تحرمنا فضلك بذنوبنا".
الآن استشعر نفسك أمام الله واملأ قلبك بالعظمة والهيبة وأنت ترى جموع الطائفين فليرتجف القلب وليجل. فأنت الآن في هذا الموكب العظيم املأ عينك بالنّظر إلى الكعبة حتى تسدّ الأفق أمامك واخطو خطوة امش خطوة خطوة إلى أن تبلّغ، أن تكون قريبا من بيت ربك.

أحد مشايخنا زحف في صحن الكعبة على يديه، زحف على يديه وأخذ يناجي ربّه ويقول جئتك زحفا يا سيدي جئتك على الركب يا سيدي جئتك زاحفا يا مولاي اقبلني، اقبلني يا رب

فإذا ما اقتربت من الكعبة وشعرت بهذا السحر العجيب وهذا الأثر البالغ فارتاح قلبك واطمئن بالك وقهر وسواسك وقتلت الأحزان، فاعلم أن الكعبة ليست أحجارا ولا أستارا، الكعبة بيت الجليل، فوقه تطوف الملائكة حول البيت المعمور، فاستحضر بقلبك معاني الحب ولقاء الحبيب وحصول المنى برؤية بيت الله وتذكر لو أنك الآن بين يدي الله تملّي العين، اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلي وجهك الكريم، اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة فاشكر ربك أن بلغك هذا وألحقك بالصالحين. اللهم ألحقنا برحمتك في عبادك الصّالحين، اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. والآن استعد لكي تطوف بالبيت ومع الطواف أسرار وأسرار فإنها تماما تماما تجسد لك رحلة الحياة، كيف ذاك؟؟ هذا ما سنعيشه إن شاء الله في اللقاء القادم مع أسرار الرحلة المباركة.

أسأل الله عز وجل أن يبلغنا وإياكم بيته الحرام وأن لا يحرمنا وإياكم من هذه المتعة الإيمانية وأن يجعلنا وإياكم ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه إنه بالإجابة جدير نعم المولى ونعم النّصير .

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك وصلّى اللهم وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تفريغ درس ٢٤

أسرار الحج

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم،بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على النبى المصطفى وآله المستكملين الشرف ثم أما بعد:

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما ينفعنا اللهم نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ،ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا

ما زالت القلوب تشتاق إلى بيت الله الحرام وقد أتفقنا أن نضع هذه القلوب هناك فإن القلب المعلق بالمساجد هذا قلب مظلل برحمات الله عزوجل أليس الرجل الذى قلبه معلق بالمساجد فى ظل عرش الرحمن لذلك قد أتفقنا ونحن نتدارس أسرار الرحلة المباركة ،أسرار أبى العبادات الحج ،أتفقنا على أن الزاد زاد التقوى وعلى أن الأمر ليس بالأقدام ولا بالأجساد هذه الرحلة تقطع بالقلوب وقد مضينا خطوات ونحن بلغنا بيت الله الحرام وبلغنا مشهد الطواف بالبيت

الطواف بالبيت:

فأول ذلك أن الأنسان ينبغى أن يستحضر أنه فى صلاة وعلى هذا ينبغى أن يعتصر القلب لتخرج منه كل معانى الخوف والأحترام والتقديس والتبجيل فنحن الآن فى حضرة ملك الملوك القلب منظور والعمل مشهود والطواف مرقوب فاعلم أن الطواف من أحب الأعمال التى يتقرب بها إلى الله عز وجل فى بيته المحرم فاستزد منه فإن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نستمتع من هذا البيت

وأول ما ذكر الله عز وجل من أحوال الناس كان حال الطائفين فقال{لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[البقرة١٢٥] فالطواف الطواف هذا المشهد ينبغي أن نستحضرفيه أننا نطوف حول عرش الرحمن فإن القلوب على قسمين قلب يطوف حول العرش وقلب يطوف حول الحف الحف أى القاذورات ويعنى الدنيا وما فيها من ملهيات ألم يقل النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف الدنيا :" إنَّ مطعمَ ابنِ آدمَ قد ضرب مثلًا للدنيا ، و إنَّ قَزَّحَه و مَلَّحَه ، فانظُرْ إلى ما يصيرُ"[حسنه الألبانى فى صحيح الجامع(٢١٩٥)]فالطعام فى النهاية أعزكم الله يصير فضلات فهذه الأشياء التى تستنكفها النفوس هذا مثل الحياة الدنيا فالدنيا ملعونة وملعون ما فيها والدنيا دار الغرور. هذه الدنيا الملهية ينبغى أن يستقذرها الأنسان هكذا وينبغى أن يطوف الأنسان حول العرش لا حول الحف. نحن الآن نطوف عكس عقارب الساعة وكأنك تطوف بأتجاه الماضى وكأنك تمحو سيئات الماضى بما فيها من آثام وما فيها من سيئات ومعاصى تريد أن تمحى من صحيفة أعمالك أنت الآن تربط الحاضر بالماضى وتعيش على هذه البقعة المباركة فترة من الزمان لتستحضر ذكريات النبى صلى الله عليه وسلم وصراعه الطويل مع الباطل. إنها رحلة فى ماضيك لتقف على أخطائك وتكتشف مواطن الخلل وتتأكد فى العزم على عدم العودة مرة أخرى إلى هذه المنكرات والسيئات تعرفون أنه فى الطواف يكون هناك رمل فى أول الأشواط الثلاثة والرمل للرجال ويكون كالجرى فى المكان وكأن الأنسان هكذا ينبغى أن يسير فى الطريق إلى الله عز وجل ففى البداية وأنت فى طريقك إلى الله عزوجل أخطو خطوات سريعة أهرب من ذنوبك فر من خطاياك وهكذا فى البداية لابد أن تكون الخطوات سريعة وبعد ذلك نثبت السرعة ونمشى خطوات الطريق إلى الله عزوجل .دائما من مشكلات فقه الطريق أن لا يفهم الأنسان هذه المعانى فيقول أنا عندى نشاط فى البداية فنقول له أستغل هذا النشاط وحاول أن تخطو الخطوة التى تأخذ مع الناس ثانية خذها فى جزء من الثانية حاول أن تأخذ خطوتين فى خطوة حاول أن تجرى فى البداية فعندما تأتى حالات الفتور تنزل نزول يسير فإذا كان المطلوب منك أن تخطو ثلاث خطوات وقد خطوت ست ثم نزلت بعض الشيء فأصبحت خطواتك أربع أو خمس فهذا جيد جدا ومعناه أنك تمشى فى الطريق إنما المشكلة أن تمشى بالسرعة العادية وعندما يحدث أى عائق أو أى أبتلاء أو أى عقبة نرجع إلى ما كنا عليه ونرجع للأسف الشديد ونقول مضى رمضان وللأسف لم يترك أى أثر فيما بعده وحججت وأعتمرت ونشطت يومان أو ثلاث ثم رجعت إلى ما كنت عليه من مشكلات فأنا عاداتى مزمنة ولا أستطيع أن أتخلص منها نريد أن نفهم فقة الطريق من خلال الطواف ونستشعر فى الطواف أننا نتشبه بالملائكة التى تحف العرش وتطوف حول عرش الرحمن تأمل خشوع الملائكة وتأمل ذلهم لله تبارك وتعالى هؤلاء من هو فيهم ساجد تحت العرش ثم يرفع ال يوم القيامة فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. ونحن نطوف نريد أن نعيش أحساس {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[يس٤٠]ولو أستشعرنا أن كل الكائنات حولنا تسبح {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}[الأسراء٤٤]كل ما حولنا يتعبد كل ما حولنا يطوف كل ما حولنا يدور فلماذا نحن لا نطوف بجوارحنا وبقلوبنا؟ .

من الجميل أن نجعل الطواف ما بين الثناء على الله عز وجل وما بين الدعاء وما بين كثرة الاستغفار والذكر وما بين ألا ننسى إخواننا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، أن لا ننسى قضيتنا نصرة الأسلام والمسلمين، أن نطلب من الله القبول، أن نكون متحركين بأجسادنا وبقلوبنا ،أن نخلص فى هذا الطواف وأن نستشعر أنه نوع من الأستجداء الملح من الكريم ليغفر فدائما نقول وأنت تلبس ملابس الأحرام الرجال يكونوا متخوفين جدا من تكشف العورات ونحو ذلك فدائما نقول وأنت تطوف قل له أسترنى وأنت تطوف وتلبس ملابس الأحرام التى هى عبارة عن أكفان وأنت متزهد فى الدنيا فعندما تطوف هذا الطواف سبع أشواط يقول النبى صلى الله عليه وسلم :" من طافَ بالبيتِ أسبوعًا لا يلْغُو فيه ؛ كان كعِدلِ رقبةٍ يعتِقُها .والأسبوع معناه "[قال الألبانى فى صحيح الترغيب :صحيح لغيره(١١٤٠)]الأسبوع سبعة أشواط وليس سبع أيام فمن يطوف سبع أشواط كان كعتق رقبة ضع يدك على رقبتك وقل له أعتقنى يا رب إذا كان هذا ثوابه أن يكون قربانا لك بمثل أن أتصدق بعتق رقبة وإذا كان عتق الرقاب هذا كفارة

فيا رب كما أعتق أعتقني يا رب أعتق رقبتي من النار اللهم أعتق رقبتي من الناروقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول :أستكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فلا أحد يعلم فالدنيا كل يوم بها مستجدات ولا ندرى هل سيكون في وقت من الأوقات أن يحال بيننا وبين بيت الله الحرام أيضا لذلك أستكثر قبل فوات الأوان .البيت فيه من المهابة والتعظيم فالأنسان عندما تقع عينه على الكعبة المفترض أن يقول :اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا ومهابة وزدمن زاره تشريفا وتعظيما ومهابة .البيت الذي النظر إليه عبادة البيت الذي فيه الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض فقد كان عكرمة رضي الله عنه يقول من لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليمسح الركن فقد بايع الله ورسوله. هذا الحجر الذي هو قطعة من الجنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" **نزلَ الحجرُ الأسوَدُ منَ الجنَّةِ وَهوَ أشدُّ بياضًا منَ اللَّبنِ فسوَّدَتهُ خطايا بَني آدمَ**"**[صححه الألباني في صحيح الترمذي(٨٧٧)]**الحجر كان أبيض وأسودفكيف بالقلب الذي تنكت فيه النكت السوداء مع كل ذنب وخطيئة الحجر ينبغي أن يشوقنا إلى الجنة

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه دوما لأول منزل

الجنة .من أجل ذلك عندما ترى الحجر تذكر ذنوبك السالفة وانظر ماذا صنعت في قلبك تلك الذنوب

النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في صحيح الجامع قال:" **لولا ما مَسَّ الحجرَ مِنْ أنجاسِ الجاهلِيَةِ ما مَسَّهُ ذُو عاهَةٍ إلَّا شُفِيَ ، وما علَى الأرْضِ شيءٌ مِنَ الجنَّةِ غيرُهُ**"**[صححه الألباني في صحيح الجامع(٥٣٣٤)]**تخيلوا من كان يلمس الحجر كان يشفى من مرضه تخيلوا بكاء آدم عليه السلام عندما أخرج من الجنة وتخيلوا أننا أبناء آدم ولا ينبغي أن تتعلق قلوبنا بسفاسف الأمور بسفاسف الدنيا ولكن ينبغي أن تهفو أنفسنا إلى دار أعدها الرحمن بيده فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .هل تتخيلوا أن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن أستلمه يوم القيامة بحق وأن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا ومن غير مزاحمة ومن غير أخطاء شرعية فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر:" **يا عمرُ إنكَ رجلٌ قويٌّ لا تزاحِمِ على الحَجَرِ فتوْذِيَ الضعيفَ إنْ وجدتَّ خَلْوَةً فاستَلِمْهُ وإلا فاسْتَقْبِلْهُ فهَلِّلْ وَكَبِّرْ**"**[قال أحمد شاكر في مسند أحمد:إسناده ضعيف(١١٠٦)]**وكانت النساء لا تحرم من ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقالت موةلاة لأم المؤمنين عائشة يا أم المؤمنين طفت بالبيت سبعا واستلمت الركن مرتين أو ثلاثة لكن أمنا عائشة قالت لها تدافعين الرجال أين الحرائر تدافعين الرجال ألا كبرت ومررت لا يحق لأمرأة عفيفة محصنة حرة أن تجعل نفسها في وسط الرجال ولاتبالي وهذا حال من لم يفهموا أن خلق الأسلام الحياء هذا حال أهل الجرأة ونعوذ بالله من ذلك.

في البيت أشياء عدة تخيل أن بين الحجر وبين باب الكعبة مكان يدعى الملتزم إذا وصل إليه العبد والتزمه بأن يرفع يديه أشد ما يكون وأن يلصق جسده بالكعبة أن يرفع شعار الأستسلام وأن يلح في طلب القرب من الله ويتبرك بمماسة الكعبة ويرجو أن يتحصن من النار ويلح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب في حقه، المظهر أنه لا ملجأ منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وأنه لن يفارق ذيله إلا أن يعفو ويصفح وينعم ويغفر .كان الحسن إذا الملتزم تعلق به وقال لأصحابه تنحو عنى حتى أقر لربي بذنبي هل تستطيع أن تجعلها شعارا للملتزم ولكل ملتزم ولكل ملتزمة يا شهوات تنحو عنى حتى أقر لربي بذنبي يا وساوس الشياطين تنحو عنى حتى أقر لربي بذنبي يا أهل اللهو تنحو عنى حتى أقر لربي بذنبي يا صحبة أهل الدنيا تنحو عنى حتى أقر لربي بذنبي يا أخواني يا أخواتي يا أبي يا أمي يا زوجي يا أولادى تنحو عنى حتى أقر لربي بذنبي هذا هو فقة التبتل إلى الله عز

وجل هذا هو معنى التخلية المطلوب فكل مننا يحتاج أن يقول لأشياء كثيرة منشغل بها وملهى بها تنحو عنى حتى أقر لربى بذنبى كلنا نحتاج هذا الطواف ونحتاج هذه المعانى ولو كنا فى بيوتنا أن تطوف قلوبنا هكذا أن تعيش قلوبنا هناك .

الشرب من زمزم:.

فإذا كان كذلك وانتهى طوافك أيها المعتمر وأيتها المعتمرة أو الحاج والحاجة فيأتى الشرب من زمزم وماء زمزم لما شرب له وذلك لأن زمزم سقيا الله لولد خليله أسماعيل فكانت غياثا له فبقيت غياثا لمن بعده وقد قال صلى الله عليه وسلم فى صحيح الجامع:" **خَيرُ ماءٍ على وجْهِ الأرضِ ماءُ زَمْزَمَ ، فِيه طعامٌ من الطُّعْمِ ، و شِفاءٌ من السُّقْمِ"[صححه الألبانى فى صحيح الجامع(٣٣٢٢)]** وليس أدل على بركتها من أن الله أختار مائها لغسل قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وفهم الصحابة بركتها فكانوا يسمونها الشفاعة حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما:وكنا نجدها نعم العون على العيان.أى كنا نسقيها لأولادنا فتشبعهم، وفهم العلماء قدرها فكان الشافعى رحمه الله يشربها بنية أن يتعلم العلم فتعلمه وأن يتقى فكان تقيا ورعا رحمة الله عليه .ولما أتاها ابن المبارك شرب شربة ثم استقبل الكعبة وقال :اللهم إنا ابنا أبى الموال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **ماءُ زمزمَ لما شُرِبَ له"[صححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه(٢٥٠٢)]**وهذا أشربه لعطش القيامة ثم شربه رحمة الله عليه وقال أبو بكر الحميدى كنا عند أبى محمد سفيان بن عيينه فحدثنا بحديث زمزم أنه معلوم أنه لما شرب له فقام رجلا من المجلس ثم عاد فقال: يا أبا محمد أليس الحديث الذى حدثتنا فيه عن زمزم أنه لما شرب له صحيحا؟قال سفيان: نعم قال الرجل: فإني شربت الآن دلوا من زمزم على أنك تحدث بمائة حديث فقال سفيان:أقعد فحدثه بمائة حديث. هذا ذكاء طالب علم فهكذا كان السلف يقدرون زمزم .زم زم لأن هاجر أخذت تقول للماء زم زم أجمع أجمع. وليس من الصحيح أن الأنسان يتطلع أى يشرب شرابا كثيرا فالحديث ضعيف حديث التطلع من زمزم حديث ضعيف وإنما يشرب الأنسان وينوى بهذا الشراب الأشياء التى يريد من خيرى الدنيا والآخرة .

السعى بين الصفا والمروة:.

ثم يأتي موطن السعى قال المصنف فى بيان ما ذكرنا :وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال **{وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }[سورة الحج٢٧]**وليرجو القبول وليخش عدم الأجابة، وكذلك إذا وصل إلى الحرم فينبغى أن ينبذ الأمن من العقوبة وأن يخشى أن لا يكون من أهل القرب غير أنه ينبغى أن يكون الرجاء غالبا لأن الكرم عميم وحق الزائر مرعى وزمام المستجير لا يضيع ومن ذلك إذا رأى البيت الحرام أستحضر عظمته فى قلبه وشكر الله تعالى على تبليغه رتبة الوافدين إليه وليستشعر عظمة الطواف به فإنه صلاة ويعتقد عند أستلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والألتصاق بالملتزم لجأ المذنب إلى سيده وقرب المحب وأنشد بعضهم فى ذلك:

سطور بيتك ظل الأمن منك	وقد علقتها مستجيرا أيها البارى
وما أظنك لما أن علقت بها	خوفا من النار تدنينى من النار
فها أنا جار بيت أنت قلت لنا	حجوا إليه وقد وصيت بالجار

هكذا ذكرها الشجرى فى ترتيب الأمانى الخميسية ونسب ذلك إلى المعرى الشاعر وقال أنشدنا شيخنا أبو الفضل يوسف بن محمد بن أحمد الجلودى قال أنشدنى أبو عبد الله الحسين بن محمد البغدادى قال حججت مع المعرى الشاعر وشاهدته واقفا عند المستجار متعلقا بأستار الكعبة يقول سطور بيتك ظل الأمن منك .وهنا فى المختصر ذكرها المصنف فى قول

سطور بيتك نيل الأمن وقد علقتها مستجيرا أيها البارى

فها هنا ربما يكون قول ظل أو نيل وهى قريبة وربما يكون فيها شيء من التصحيف ما بين هذه الرواية أو تلك الرواية وعلى أية حال المعنى والله أعلى وأعلم أن أستار الكعبة تظلل الأنسان بالأمن وتشعره بذلك أو أن سطور بيتك نيل الأمن منك كأن من دخل البيت فهو ءامن كما هومعلوم وقد علقتها أى قد تعلقت بهذه الأستار مستجيرا أيها البارى وأنا فى هذا المكان الذى يستجار فيه من النار وما أظنك لما أن علقت بها خوفا من النار تدنينى من النار

فها أنا جار بيت أنت قلت لنا حجوا إليه وقد وصيت بالجار

فظنى فيك يا أملى وظنى فيك يا سيدى أن لا تدنينى من النار

ومن ذلك إذا سعى بين الصفا والمروة ينبغى أن يمثلها بكفتى الميزان وتردده بينها فى عرسات القيامة أو تردد العبد إلى باب دار الملك إظهارا لخلوص خدمته ورجاء الملاحظة بعين رحمته وطمعا فى قضاء حاجته. والسعى تعنى أن يكون الأنسان نشيطا فى خطاه وليس المشى. أن يسعى {وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ(٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩)}[سورة عبس ٨،٩] فكلمة السعى فيها نشاط، فعلينا أن نستشعر حال سعينا بين يدى مولانا ذاهبين وآتين مرة بعد أخرى أن نستشعر هذا الموقف ونظهر الأخلاص لله رب العالمين رجاء أن يلمحنا بعين الرحمة وأن يشملنا بعطايا الخير ومنح البر ولا يزال العبد يسعى مرة بعد مرة يرجو أن يرحم وعسى أن يكون قد بلغ الأمنية .أستشعر أنك تبحث عن شيء هنا وهناك وأنك تنشد ضالة غالية هذه الضالة هى رحمة الرحيم الرحمن وتعلم الثقة بالله والتوكل على الله {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّـهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّـهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}[سورة البقرة١٥٨] الصفا والمروة يذكران العبد بأصل عظيم فقد أسكن إبراهيم زوجة هاجر وأبنه أسماعيل فى صحراء جرداء لا زرع ولا ماء وامتثل لأمر الله مع أنقطاع الأسباب ءاله أمرك بهذا يا إبراهيم ؟تصرخ هاجر فيقول: نعم مستسلما متوكلا موقنا فتجيبه بجواب أكثر يقينا وجواب أكثر توكلا وهى التى تلاقى الآن تبعات هذا الأمر وهى الآن على رجاء أن يفرج الله عز وجل،والشيطان يقول ستموتين أنت ورضيعك وهى تصرخ إذن لا يضيعنا، فنعم العون لزوجها على طاعة الله هاجر.فيعلمنا ذلك أن نثق فى الله وأن نتركها على الله اللهم دبر لنا فإنا لا نحسن التدبير واختر لنا فإنا لا نحسن الأختيار، ونتعلم من هاجر الأصرار، نتعلم أنه لا مكان لكلمة يأس فى قاموس المسلم هاجر تسعى هنا وهناك لا تهدأ لا تفتر هى لا تهدأ حتى تحصل بغيتها فتسعى مرارا سبع مرات بتصميم وإباء وعدم يأس فى رحلة أصدق ما توصف بأنها رحلة الألم والأمل كان بأمكانها أن تعذر إلى الله وتسعى مرة أو مرتين لكنه الدرس العظيم فى أن المؤمن لا يكل ولا يمل فى طلب رضا ربه سبحانه وتعالى يتلمس رحمة الله وهو على يقين أن الله لا يضيع عباده يبذل الأسباب ويتعلق بالرب سبحانه وتعالى وهنا تسعى باحثة عن الماء فتجده قد أنفجر تحت قدم أسماعيل ليس فى المكان الذى سعت فيه بل فى مكان آخر أمام الكعبة تحت قدم رضيع لا حول له ولا قوة ،على أن الأخذ بالأسباب واجب ولكن ليس سبب النجاة بل الأمر كله لله فالله تبارك وتعالى أمر جبريل فضرب بجناحه تحت قدم أسماعيل فتنفجر زمزم بضربة الملك وتكون هذه الآية منذ هذه اللحظة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هذا هو الدرس علينا أن نمضى ساعين علينا أن نتخذ بالأسباب وأن نتعلق بالله وأن نبذل المجهود والله يعين فهو نعم الرب المعبود.

الحلق:

وبعد أن ننتهى من السعى يكون الحلق ويبقى هذا الركن ركن التحلل بأن يحلق العبد أو أن يأخذ من شعره والمرأة تأخذ خصلة من شعرها قيد أنملة وهنا كأنك تزيل عنك كل ما يذكرك بالماضى لتفتح صفحة جديدة مع الله هذا هو التفاؤل بحط السيئات والأنسلاخ من حياة الأثم هذه هى التوبة مما مضى وهذا هو العزم على الأصلاح فيما بقى ليس الحلق محوا للسيئات بل ربحا للحسنات فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة وعلينا أن نتذكر عند الحلق والأنسان يطأطأ رأسه ليحلق شعره علينا أن نستشعر فى هذا أسلمت ناصيتى لك اللهم ألجأت ظهرى إليك وأسلمت ناصيتى لك فاللهم خذ بناصيتى ويدى إليك أخذ الكرام عليك. دائما يكون هذا شأن العبد المتواضع لا يشمخ بأنفه إنما يطأطأ رأسه تذللا إلى ربه فهو عزيز يرفع رأسه فى موطن مواجهه الباطل وهو ذليل{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّـهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}[سورة المائدة٥٤] وهو يشعر دائما بحقارة نفسه وهو يسير يناجى ربه هكذا شأن العبد السائر إلى الله تبارك وتعالى وإذا حلق الأنسان تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم دعى بالرحمة ثلاثة للمحلقين وبمرة واحدة للمقصرين الذين يقصرون شعرهم أما النساء فلا يدخلون فى ذلك فبأخذهم الأنملة هذه تحقق لهن تلكم الرحمات.

يوم التروية:

قال ثم يأتى يوم التروية ويوم التروية هو يوم الثامن من ذى الحجة وسمته العرب التروية لأنهم كانوا يملئون القرب فى ذلك اليوم ليرتوا بها يوم عرفة فعلينا أن نستحضر فى يوم التروية اليوم الثامن {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ }[سورة البقرة١٩٧] فنحن فى عطش شديد لزاد الإيمان وفى حاجة ماسة لمطر الهدى والأحسان، نحتاج هذا الغيث علينا أن نستحضر أننا سنمضى فى سفر طويل ولكن بزاد قليل فعلينا أن نملأ القلب بما نستطيع به أن نبلغ .دائما نقول هكذا وأيضا فى فقه الطريق "أشحن"فى رمضان أشحن،فى العمرة أشحن،فى الحج أشحن،فى الثلث الأخير أشحن،فى الأثنين والخميس أشحن،فى الجمعة أشحن .لابد أن نعلم متى نشحن القلوب متى نكون أكثر تزودا بزاد الإيمان والتقوى لكى ينفعنا بعد ذلك فى أوقات لا نجد فيها معين ونجد فيها فتن ونجد فيها أشياء لا نستطيع أن نتعامل معها فيأتى زاد الإيمان فيزودنا ليقينا من شرورالحياة ومن شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.الآن ونحن فى منى أستشعر الخوف من عدم القبول وأن ترد غدا. يوم عرفة يوم خطير يوم رهيب يوم ينبغى التدقيق فيه إلى أبلغ ما يكون. كنت مع شيخنا الشيخ أسامة عبد العظيم فى حج العام الماضى وكنا فى يوم التروية فجاءت وقت صلاة العشاء فصلى الشيخ وقرأ قرابة الستة أجزاء ثم بعد ذلك وجدت الشيخ وقد تورمت قدمه فقلت للشيخ هلا أخذت قسطا من الراحة شيخنا فإن الغد يوم عرفة ويحتاج الأنسان أن يتزود بالراحة الآن حتى يستطيع أن يكون أكثر تركيزا يوم عرفة فقال يا بنى هذا وقت لا راحة فيه قال لى يا أبنى هل هذا وقت يرتاح فيه أحد فيوم عرفة يوم خطير فهكذا شأن العلماء الربانيين هم على قلق دائم ونحن فى غرور دائم هم يأتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة ونحن نعيش فى ملاهى عدة ولا يصح لنا بحال أن نرتضى بهذا الحال {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ}[سورة يونس٧] هؤلاء توعدهم الله سبحانه وتعالى بالنار وإنما علينا أن نخاف وأن نجل أن لا يقبلنا ربنا لما غلبت علينا شقوتنا.

يوم عرفة:

ثم يكون يوم عرفة قال: أما الوقوف بعرفة فأذكر بما ترى فيه من أزدحام الخلق وأرتفاع أصواتهم وأختلاف لغاتهم موقف القيامة وأجتماع الأمم فى ذلك الموطن واستشفاعهم .الحج عرفة هنا أستشعر مثولك أمام الله فى ميدان الحشر وأنت حيران فى موقف بين القبول والرد وأنت طمعان فى شفاعة الشفيع صلى الله عليه وسلم فتأمل ما سيجرى عليك غدا والزم بقلبك التضرع والخشوع

والتوبة والخضوع وأخرج كل خاطر للدنيا وأقبل على الله بكل ذرة فى كيانك وأشهر له أفلاسك وأعترف له بفقرك وأقر له بعجزك فكنزك عجزك واستحضر صحيفة الذنوب الماضية وقبائح السوابق المهلكة واذكر الساعات الضائعة واندم على ما فرطت فى جنب الله فى زمان مضى وتوخى الحذر فيما بقى كم أتعبت الحفظة سنين وسهرت على المعاصى حينا بعد حين وها هنا لن ينفعك إلا أن تظهر له الفاقة والمسكنة وتكون على حال أخوة يوسف وهم يقولون {قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَاالْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّـهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ}[سورة يوسف٨٨]وكن على رجاء {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ}[سورة التوبة٦٠]أرفع يديك إلى صدرك وكن على أعلى درجات ذلك وقلد نبيك فقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة ويداه إلى صدره كمن يستطعم ،كمن يطلب ممن يجود عليه طعمة، شربة قليل مما تجود به الأيدى نعم كن هكذا مستجدى وأكثر من الدعاء فإنه عبادة الوقت وأفضل الأعمال وأقرب ذلك أن تكثر من الثناء على سيدك ومولاك فليس أحد أحب إليه المدح من الله لذا أثنى على نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم :" **أفضلُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ ، و أفضلُ ما قلتُ أنا و النبيون من قبلي : لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له"[حسنه الألبانى فى صحيح الجامع(١١٠٢)]**لا وقت فى أن تضيعه فى سمرك وفى لهوك وحتى فى غفلاتك أقتدى بالحبيب الذى شغل طيلة يوم عرفة بالذكر والدعاء عن كل شيء حتى عن الطعام والشراب حتى أن الصحابة ظنوه صائما فالحديث فى البخارى ومسلم عن أم الفضل بنت الحارث :" **أن ناسًا تمارَوا عِندَها يومَ عرفةَ في صومِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال بعضُهم : هو صائمٌ، وقال بعضُهم : ليس بصائمٍ،فأرسلَتْ إليه بقَدَحِ لبنٍ، وهو واقفٌ على بعيرِه، فشَرِبَه"[صحيح البخارى(١٩٨٨)]**لم يضيع لحظة وكأنه يقول لك الوقت اليوم لا يقدر بثمن كل لحظة ستنفقها فى غير طاعة إنها أعظم خسارة، ودعاك إلى ذلك بفعله لتكون أستجابتك أسرع وطاعتك أقرب. أرفع يديك وبالغ فى ذلك وأنظر إلى هذا الحديث العجيب فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم عرفة قال أسامة بن زيد:" **كنتُ رديفَ النبي صلَّى اللَّه عليه وسلم بعرفاتٍ ، فرفعَ يديْهِ يدعو فمالت بِهِ ناقتُهُ فسقطَ خطامُها فتناولَ الخطامَ بإحدى يديْهِ وَهوَ رافعٌ يدَهُ الأخرى"[قال الألبانى فى صحيح النسائى إسناده صحيح(٣٠١١)]**هذا هو حال النبى صلى الله عليه وسلم والحديث عند النسائى وفى مسند الأمام أحمد وصححه الألبانى ماذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم ظل يدا مرفوعة واليد الأخرى أخذ بها خطام الناقة وأسمع إلى حديث جابر وتعلم كيف أن النبى صلى الله عليه وسلم :" **ثم ركب رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ . حتى أتى الموقفَ . فجعل بطنَ ناقتِه القصواءَ إلى الصخراتِ وجعل حبلَ المشاةِ بين يدَيه واستقبل القبلةَ فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمسُ "[صحيح مسلم (١٢١٨)]**لا ملل لا كلل ظل على تلك الحال حتى غربت شمس عرفة وأثناء سيره للمزدلفة وقت ينشغل الناس به فى الزحام إن لم يكن بالجدال وباللغو لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل رافعا يديه واقفا مستحضرا عظمة هذه الوقفة وهنا علينا أن نحسن الظن بالله ففى موقف عرفة والساعة ساعة إجابة علينا أن نتأمل عظيم فضل ربنا"**ما من يومٍ أكثرَ من أن يُعتِقَ اللهُ فيهِ عبدًا من النارِ ، من يومِ عرفةَ "[صحيح مسلم(١٣٤٨)]**ولذا كان من أعظم الذنوب أن يحضر عبد عرفة وهو يظن أن الله لن يغفر له قال أبن المبارك جئت سفيان الثورى عشية عرفة وهو جاثى على ركبتيه وعيناه تذرفان من البكاء فقلت له من أسوأ هذا الجمع حالا؟ فقال: الذى يظن أن الله لن يغفر له .اللهم إن كان الواحد منا يعرف أنه أهل الذنوب والخطايا فإن تكلنا إلى أنفسنا تكلنا إلى ضعف وعورة وخطيئة وذنب ولكنك يا رب القائل عن نفسك {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}[سورة المدثر٥٦]ولما رأى الفضيل بن عياض بكاء الناس ونشيجهم عشية عرفة قال:أرأيتم لو أن هؤلاء الناس جاؤوا إلى رجل فسألوه ذانقا أى مليم ثلث درهم أكان يردهم ؟قالوا:لا قال: والله للمغفرة عند الله أهون من أجابة رجل بذلك. اللهم لا تحرمنا بذنوبنا وسيئاتنا وخطايانا كرمك وفضلك وأنعم علينا الآن الآن الآن بمغفرة ذنوبنا كلها، اللهم عبادك سوانا كثير وليس لنا رب سواك وهم القوم لا يشقى بهم من جالسهم فيا رب أرحم من لا راحم له سواك وأغفر لمن لا يغفر له الذنوب إلا أنت فخيرك ربنا كثير كيف لا؟ألم يدخل أهل الجنة الجنة وقد غفر الله لهم وحاسبهم وأنتهى أمرهم فإذا بهم يأملون فى

أعلى النعيم فى رؤية وجه ربهم الكريم فلا يلوذون إلا بالمغفرة{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[سورة التحريم٨]اللهم أغفر لنا أجمعين.أنظروا إلى هذا الزاد زاد حسن الرجاء وحسن الظن سمع ابن عباس أعرابيا يقرأ{وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا}[سورة ال عمران١٠٣]فقال الأعرابى والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها فقال ابن عباس:خذوها من غير فقيه إى والله ما أنقذهم وهو يريد أن يوقعهم. وكان حكيم بن حزام يقف بعرفة ومعه مائة ناقة ومائة رقبة فيتصدق بها يبغى أن يعتق الله رقبته من النار فيضج الناس بالدعاء والبكاء ويقولون :ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده ونحن عبيدك فأعتقنا.إنها المصالحة مع ربنا سبحانه وتعالى أفيضوا عبادى مغفورا لكم وضمنت عنكم التبعات .إن الله عز وجل يغفر لأهل المشعر وأهل عرفات ويضمن عنهم التبعات كثر خير الله وطاب والله كما قالها الفاروق عمر لما سمع هذه البشارة من لسان النبى صلى الله عليه وسلم هيا نجدد العهد مع الله هيا نستأنف الحياة مع الله هيا نسترجع الآن ذكريات الميثاق إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة ألست بربكم ؟قالوا بلى. فهيا لكى نجدد العهد ومن نسى ذكرناه هيا نجدد التوحيد فلا نشغل فى هذا الوقت إلا بالثناء والدعاء كما أسلفنا فإذا شغل العبد بذلك يعطى أفضل مما يعطى أهل السؤال وهيا لنتنبه من غفلاتنا فهذا زمان التفكر وهذا زمان التأمل وهذا زمان اليقظة من ثبات الغفلة. ادعوا الله بما كان يدعوا به على بن موسى فى هذا الموقف كان يقول:اللهم كما سترت على ما أعلم فأغفر لى ما تعلم وكما وسعنى علمك فليسعنى عفوك وكما أكرمتنى بمعرفتك فأشفعها ربنا بمغفرتك يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والأكرام اللهم لا تمنعنى خير ما عندك بسوء ما عندى اللهم لا تمنعنى خير ما عندك بسوء ما عندى اللهم إن كنت لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبتى اللهم من وصلته فى هذا الموقف فى هذا اليوم فى تلك الليلة فلا تقطعه إلى أن يموت اللهم يا ربنا يا ربنا قد تعبنا وقد شقينا وقد نزل بنا ما أنت به أعلم فاللهم أعتقنا فاللهم أعتقنا. وإذا كان الزاد زاد أهل الرجاء فلا يحد ألا يشفع بزاد الخوف والوجل ،ألم يقف الفضيل وكل الناس من حوله يبكى فلما كادت الشمس أن تغرب وهو يبكى ويدعو فرفع رأسه إلى السماء وقال:واسوأتاه وإن عفوت تذكر وقوفه يوم العرض عريانا وهو مستقبل وجه ربه والكتاب لا يغادر الصغيرة ولا الكبيرة ووجد ما عمل حاضرا فتذكر أنه سيقف ولربما يسقط لحم الوجه من الخجل من ذنوب كثيرة ومعاصى عديدة ومن صفحات مسودة والوقوف بين يدى الله فقال: واسوأتاه وإن عفوت.فإذا جمعت بين الحياء والرجاء بين الخوف والأمل فقد حققت ما ينبغى أن تبلغ فى هذا الموقف والآن ستزدلف .

المزدلفة:

والزلفة قربة {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ}[سورة ص٤٠]أن يزلف أن يتقرب

{فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّـهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ}[سورة البقرة١٩٨]الآن أنت فى زلفة أنت فى مزدلفة .لتنال لحظات القرب من القريب{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[سورة البقرة١٨٦]وهنا ينبغى أن تستغفر لتسد الخلل، نعم كان صلى الله عليه وسلم يصلى فأول ما يذكر بعد صلاته الأستغفار لأنه ما من عمل إلا وبه خلل{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[سورة البقرة١٩٩]الآن سوف تنام هذه الليلة وستشعر بسكينة عجيبة وأنت فى هذا الموقف العجيب وتستيقظ لتصلى الفجر وتمكث إلى أن تسفر الشمس وتتوجه فى يوم النحر هذا اليوم العظيم يوم عيد المسلمين تتوجه لترمى الجمار.

رمى الجمار:

قال فإذا رميت الجمارفأقصد بذلك الأنقياد للأمروإظهار الرق والعبودية ومجرد الأمتثال من غير حظ النفس فإذا رميت الجمار تذكرت فى كل ذلك عظم الأجر فكل جمرة ترميها تكفر كبيرة من الكبائر فيا لهناءك ويا لعظم ثوابك الآن أنت تدحر أنت تهزم أنت ترغم عدوك أنت الآن تستخرج هذه المعانى من قلبك فإذا كان فى داخل كل أنسان شيىء من الغيظ وشيىء من الغضب هذه الطاقة الغضبية الآن أستفرغها وادحر عدوك {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}[سورة فاطر ٦]

ثم بعد رمى الجمار يكون الدعاء وهذا أستعانة بسلاح الدعاء فى كل موقف وأعلان الأفتقار دوماإلى الله فبعونه وحسب يأتى النصر والغلبة.

ذبح الهدى:

ثم يكون ذبح الهدى واستشعر أنك تقربه إلى الله لتفتدى به نفسك وارجو بأن يعتق الله بكل جزء من هديك عضوا منك من النار وتذكر أن أعظم أيام السنة عند الله يوم النحر وقد ذهب الجمهور على أن يوم عرفة أفضل من يوم النحر وأن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم :" أعظمُ الأيامِ عند اللهِ يومُ النَّحرِ "[صححه الألبانى فى صحيح الجامع(١٠٦٤)]أى من أعظم الأيام ليس أعظمها مطلقا وإن كان يلى يوم عرفة فى الفضل.

حلق الرأس والطواف والمبيت بمنى:

فإذا ما ذبحت الهدى وحلقت الشعر وجاء الوقت للطواف مرة أخرى جددت العهد مرة ثانية ثم رجعت إلى منى وأنت قد بلغت المنى وتبيت بمنى بعد ذلك وهنا يوسع عليك الكريم الحميد الشكور فأيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله تبارك وتعالى .فالله سبحانه وتعالى دعى عباده إلى زيارة بيته ثم أهدى كل منهم على قدر طاقته وسمى هديا لذلك.والضيافة ثلاثة أيام فأكرم الله زواره بالطعام والشراب ثلاثة أيام وهذه عادة الملوك أنهم إذا أضافوا أطعموا من على الباب من الفقراء والمساكين لذا قال {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}[سورة الحج٢٨]ولما سئل جعفر الصادق لما كره الصيام أيام التشريق،الحكم أن يوم النحر حرام صيامه و أيام التشريق ١٣،١٢،١١مكروه صيامه قال جعفر: لأن الحجاج فى ضيافة الله ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه .وقال ابن رجب نأكل فى هذه الأيام لأنها أيام عيد ويستعان بها على طاعة الله سبحانه وتعالى فلسنا نأكل لنأكل ونشتهى هذه الشهوات من طعام وشراب فقط للتلذذوإنما لتعيننا على واجباتنا واجبات ربنا تبارك وتعالى .ثم يا حسرة على النوام ممن لم يبلغوا هذه المعانى وضاعت عنهم فى سكرات الملاهى والمغانى وضاعت عنهم فى سكرات لهوهم وعبثهم وغفلاتهم لذا كثير يحج وما بلغ شيئا وما بلغ شيئا من معانى الحج وكثر الآن فى هذا الحج السياحى كثر فيه أن نرى من كثرة أستخدام الرخص فى غير موضعها ومن كثرة المخالفات التى يقع فيها الحجاج أن ترى الحج بلا حج وأن ترى الأمور كلها كأنها أسقاط للفريضة كما يصنع الناس الآن فى هذا الزمن الذى قالوا فيه أن الدين مجرد طقوس حتى الطقوس التى يقولون عنها تؤدى هكذا فقط لأسقاطها عن النفس فلا روح فيها ولا يصل منها شيئا إلى القلب. إننا نريد أن نحج حجا حقيقيا فنسأل الله أن يبلغنا ذلك وأن يكون هذا الكلام حجة لنا لا علينا.

طواف الوداع:

فإذا أنتهى الأنسان من الحج يطوف طواف الوداع وهنا يقول لربه لا تطردنى ليس نفرة عن هذا المكان أتركه وإنما يا رب أمرت فأمتثلت اللهم تقبل منى إنك أنت السميع العليم وتب على إنك أنت التواب الرحيم.

زيارة المدينة:

وتذهب للمدينة فإذا لاحت لك فتذكر أنها البلدة التى أختارها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وشرع إليها هجرته وجعل فيها بيته ،ثم مثل فى نفسك مواضع أقدام النبى صلى الله عليه وسلم عند تردده فيها فهذه البقعة فى المسجد القديم بالتأكيد وطئتها قدم النبى صلى الله عليه وسلم وقريبامن القبر من غرفة أمنا عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الأماكن أتنسم نسيم النبى صلى الله عليه وسلم ألم يكن ابن عمر يسير فى طرقات المدينة فإذا سار بطريق غريب سئل لما تمشى هكذا ولما تجعل دابتك تسيرهكذا أليس الطريق من هاهنا؟ يقول رأيت دابة النبى صلى الله عليه وسلم قد سارت من هاهنا فلعل خفا أن يقع على خف.وتصور خشوعه وسكينته فإذا قصدت زيارة القبر فأحضر قلبك لتعظيمة والهيبة له ومثل صورته الكريمة فى خيالك واستحضر عظيم مرتبته فى قلبك هل النبى صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أنفسنا ؟هل النبى صلى الله عليه وسلم أولى بنا من كل شىء؟{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }[سورة الأحزاب٦]هل تستشعر {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّـهِ}[سورة الحجرات ٧]هل النبى صلى الله عليه وسلم بحق هكذا شأنه عندك؟أين الصلاة والسلام على النبى محمد هذه ليلة الجمعةأكثروا فيها من النبى صلى الله عليه وسلم صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على النبى محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ،البخيل من ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصلى عليه صلى الله عليه وسلم :" **من ذُكِرْتُ عندَه فلم يُصلِّ عل فيَّقد خَطِئَ طريقَ الجنَّةِ"[صححه الألبانى فى فضل الصلاة(٤٤)]** اللهم صلى وسلم وبارك على نبينا محمد :" **مَن صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللَّهُ عليه بِها عشْرًا"[صحيح مسلم(٣٨٤)]** صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم عليه واعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك كما ورد فى الحديث الذى رواه أبو داوود :" **ما مِن أحدٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ علَيهِ السَّلامَ"[حسنه الألبانى فى صحيح أبى داوود(٢٠٤١)]**فالمدينة المدينة إن الإيمان ليئرز أى ليجتمع ويعود إلى المدينة كما تئرز الحية إلى جحرها كما تعود إلى هذا البيت وكأن الإيمان هناك موكبه هناك منبعة هناك المكان الذى ينبغى أن يكون محل التزود لأن الإيمان يئرز ويعود ويجتمع كما تئرز الحية إلى جحرها ليئرز إلى المدينة هكذا. صلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بألف صلاة .المدينة لا يدخلها الطاعون ولا يدخلها الدجال فمن أستطاع أن يموت فيها فليمت فإنه على رجاء أن يشفع له النبى صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم فى صحيح الجامع :" **من استطاع أن يموتَ في المدينةِ فليمُتْ بها فإنِّي أشفعُ لمن يموتُ بها"[قال المنذرى فى الترغيب والترهيب إسناده صحيح أوحسن أو ما قاربهما (٢\٢١١)]**وكان عمر يقول:اللهم أرزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك يا رب اللهم أرزقنى شهادة فى سبيلك قولوا آمين اللهم أرزقنا شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك اللهم أرزقنا شهادة فى سبيلك واجعل موتنا فى بلد رسولك اللهم أرزقنا شهادة فى سبيلك واجعل موتنا فى بلد رسولك.المدينة كالكير يخرج الخبث المدينة تنفى خبثها فالمدينة لها شأن خطير لذلك علينا أن نعيش أحلى الذكريات وكأننا بصحبة الحبيب صلى الله عليه وسلم علينا أن نعرف أن لمحبة النبى صلى الله عليه وسلم علامات:

١- أن يكون أعظم حب فى حياتك له صلى الله عليه وسلم قال عمر:" **يا رسولَ اللهِ ، لَأَنْتَ أحبُّ إليَّ مِن كلِّ شيءٍ إلا مِن نفسي ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا ، والذي نفسي بيدِه ، حتى أكونَ أحبَّ إليك مِن نفسِك فقال له عمرفإنه الآن واللهِ ، لأَنتَ أحبُّ إليَّ مِن نفسي ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلمُ: الآن يا عمر"[صحيح البخارى(٦٦٣٢)]** "

٢- أن تخشع لسماع ذكره كان جعفر بن محمد يكثر الدعاب والتبسم فإذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم يصفر لونه وما كان يحدث عن النبى إلا وهو على طهارة.وذكر مالك بن دينار عن مجمد بن المنكدر أنه قال لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا بكى حتى نرحمه.فمن علامات حب النبى صلى الله عليه وسلم أن يخشع الأنسان لسماع ذكره صلى الله عليه وسلم كان مالك بن أنس الأمام كان من أشد الناس تعظيما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا جلس للفقة جلس كيف كان وإذا أراد الجلوس للحديث أغتسل وتطيب ولبس ثيابا جديدة وتعمم وقعد على منصته فى خشوع وخضوع ووقار ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه تعظيما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا ينبغى أن يكون التعظيم لقدر النبى صلى الله عليه وسلم

٣- وإذا كنت محبا وإذا كنت محبة فعلامة ذلك سرعة الأمتثال والتلبية عن البراء قال :" **لمَّا قدِم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المدينةَ، صلَّى نحوَ بيتِ المقدِسِ ستةَ عشَرَ، أو سبعةَ عشَرَ شهرًا، وكان يُحِبُّ أن يوجَّهَ إلى الكعبةِ، فأنزَلَ اللهُ تعالى:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}فوُجِّهَ نحوَ الكعبةِ، وصلَّى معَه رجلٌ العصرَثم خرَج، فمرَّ على قومٍ من الأنصارِ، فقال : هو يشهَدُ أنه صلَّى معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنه قد وُجِّهَ إلى الكعبةِ فانحرَفوا وهم رُكوعٌ في صلاةِ العصرِ"[صحيح البخارى(٧٢٥٢)]** وهكذا يكون سرعة الأمتثال والتلبية للنبى صلى الله عليه وسلم

٤- والأمر الرابع من العلامات تقديم ما يهوى على ما تهوى حتى يكون هواه تبعا لما جئت به هذه العلامة علامة سمعنا وأطعنا علامة أننا إذا عرفنا شيئا من سنته صلى الله عليه وسلم نكون دائما أبدا ممتثلين نقدمها على كل شيء عن نافع عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لو ترَكْنَا هذا البابَ للنساءِ؟"[صححه الألبانى فى صحيح أبى داوود(٤٦٢)] قال نافعٌ : فلم يدخلْ منه ابنُ عمرَ حتَّى مات**.وقال صلى الله عليه وسلم لأبى أمامة :" **أتيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقلتُ مُرني بأمرٍ آخذُهُ عنْكَ قالَ عليْكَ بالصَّومِ ، فإنَّهُ لا مثلَ لَه"[صححه الألبانى فى صحيح النسائى (٢٢١٩)]** فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يلقون إلا على صيام أى إلا صواما

٥- ومن العلامات نشر دينه والدفاع عن سنته فإن هذا دليل الحب الحقيقى .كان أناس إن عبتهم بشىء لم تعبهم إلا أنهم دون الملائكة. هكذا شأن المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا شأن هذه الرحلة المباركة رحلة الحج والعمرة وما فيها من الأسرار

أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم وأن يأخذ بأيدينا وأيديكم إليه وأن يتابع الحج والعمرة ولا يحرمنا زيارة بيته الحرام إنه بالأجابة جدير نعم المولى ونعم النصير سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى اللهم وسلم على النبى محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مفرغ من :

شرح مختصر منهاج القاصدين - ربع العبادات - الدرس (٢٢و٢٣و٢٤)

الشيخ / هانى حلمى